

حملات ممنهجة ضد الإسلام.. ومن يزرع الكراهية يحصد العنف

صلاة الاستسقاء

التوحيد

العالم الإسلامي

الأشواك الجارحة

في حقنا الإسلامي المعاصر

☆ شيخ الأزهر: محبة النبي فرض عين على كل مسلم

☆ مهما كنت لاحقاً فلا تأصّب يدريك

☆ فضل السابقين للخيرات



مجلة

إسلامية

ثقافية

شهرية

تصدر

عن

جماعة

السنة

المحمدية

العدد

٥٩٢

السنة

الخمسون

ربيع

آخر

١٤٤٢ هـ

العدد

٥

العدد

٥

العدد

٥

العدد

٥

العدد

السلام عليكم

## النصر بالصرف

والمقصود بالصرف: صرف الله سبحانه للمشركين عن النيل من شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد كان المشركون يعكسون اسم النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: مذمم بدلاً من محمد، فكلما رأوه قالوا: جاء مذمم، ورجع مذمم، والنبي صلى الله عليه وسلم يهون على نفسه وأصحابه هذا السلوك الذميم، فيقول لأصحابه: «أرأيتم كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ إنهم يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد».

وهؤلاء الذين يرسمون للنبي صلى الله عليه وسلم الرسوم التي تسيء له، فإنهم يرسمون صوراً لا تمت لشخصه ولا لصورته وحقيقته بصلة، فهم يتعبون أنفسهم في غير رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهذا السلوك كمقصود عندهم يزعجنا ويضيق صدورنا كمسلمين، كما كان يضيق صدره صلى الله عليه وسلم قديماً، فقال له ربه جل وعلا: «وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنْكَ يُضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ» (الحجر: ٩٧)، وتولى سبحانه الدفاع عنه كما قال: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» (الحجر: ٩٥)، وتوعد بالعذاب الأليم المهين في الدنيا والآخرة لمن أذى الله ورسوله بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» (الأحزاب: ٥٧).  
فالويل كل الويل لمن يضعلون ذلك.

## التحرير

### بريد القراء



عزيزي قارئ مجلة التوحيد،  
قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».  
وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعليق على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.  
وتفضيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه متاح نافذة «بريد القراء»، في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للتشر. والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَاعَامَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

- ١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/٢٢٣٩٣٠٦٦٢
- ٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها

800 جنيهاً

ضمن الكرتونة للأفراد والهيئات  
والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار  
خارج مصر شاملة سعر الشحن -



صاحبة الامتياز  
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:  
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:  
حسين عطا القراط

مدير التحرير  
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:  
أحمد رجب محمد  
محمد محمود فتحي

#### ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية  
٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ،  
الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار  
أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦  
ريالات ، عمان نصف ريال عماني  
، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

#### إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين . القاهرة  
ت. ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس . ٢٣٩٣٠٦٦٢  
البريد الإلكتروني  
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١١



٧

٤٤



٤١

٢	انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه
٥	باب التفسير
١٥	أخلاقنا من الكتاب والسنة
١٧	باب السنة
٢١	فقه المرأة المسلمة
٢٥	معركة صفين (٣)
٢٩	الاعتناء بالأبناء من هدي الأبناء
٣٣	القرآن تدبر ومنهج
٣٦	واحة التوحيد
٣٨	دراسات شرعية
٤٨	أخبار العالم الإسلامي
٥٠	محرمات استهان بها العروسان
٥٣	تحذير الداعية من القصص الواهية
٥٧	قرائن اللغة والنقل والعقل
٦١	نظرات في حكم طلاق الغضبان
٦٥	صلاة الاستسقاء
٦٨	مقالات في معاني القراءات
٧٠	فضل السباقيين للخيرات



# التوحيد

(٢)

## انحراف البشرية عن التوحيد وأسبابه

د. عبد الله شاكر  
الرئيس العام

إذا وقعت الصلاة على القبر، أو بين القبرين، (فتح الباري، ج ١، ص ٥٢٣، ٥٢٤).  
كما عقد باباً عنوانه بقوله: «باب كراهية الصلاة في المقابر»، ص ثم ساق بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً» (فتح الباري، ج ١، ص ٥٢٨). وقال ابن رجب رحمه الله في قول البخاري السابق: «لا تنبش قبور مشركي الجاهلية؟» مقصود البخاري بهذا الباب: كراهة الصلاة بين القبور وإليها، واستدل لذلك بأن اتخاذ القبور مساجد ليس

إن أئمة الإسلام قرروا خطورة الغلو في الصالحين، حتى لا تقع هذه الأمة فيما وقعت فيه الأمم السابقة، فهذا الإمام البخاري رحمه الله يقول في كتابه الصحيح: «باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مسجداً؟ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وما يكره من الصلاة في القبور، ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر القبر، ولم يأمره بالإعادة، فقال ابن حجر رحمه الله في شرحه قوله: «وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما

الحمد لله رب العالمين،  
والعاقبة للمتقين، ولا عدوان  
إلا على الظالمين. وأشهد أن لا  
إله إلا الله وحده لا شريك له،  
وأشهد أن نبينا محمداً عبده  
ورسوله. اللهم صل عليه  
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين.  
وبعد: فقد بينت في اللقاء  
الماضي أن السبب الأول في  
انصراف بعض الناس عن  
التوحيد هو الغلو، وذكرت  
بعض الآيات المحذرة من  
الغلو. وكذلك بعض الأحاديث  
النبوية، وأتابع في هذا اللقاء  
الحديث حول هذا الموضوع،  
فأقول وبالله التوفيق،

هو من شريعة الاسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. (فتح الباري لابن رجب، ج ٢، ص ٣٩٧).

كما قرر ذلك الإمام ابن خزيمة رحمه الله؛ حيث عقد باباً في صحيحه قال فيه: «باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد، والدليل على أن فاعل ذلك من شرار الناس» (صحيح ابن خزيمة، ج ١، ص ٤٠٦).

وعن جنود بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» (مسلم/ ٥٣٢).

قال النووي رحمه الله في شرحه: «إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المباغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه،

ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفون رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى الوقوع في المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما، حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر» (شرح النووي على مسلم، ج ٥، ص ١٣).

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلوا حيطاناً تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبارة؛ فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره صلى الله عليه وسلم، ولهذا الذي ذكرناه كله قالت عائشة: «ولولا ذلك لأبرز قبره صلى الله عليه وسلم» (المفهم شرح صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٢٩).

وقال القاضي عياض رحمه الله: «لما احتاج المسلمون إلى الزيادة في مسجده صلى الله عليه وسلم؛ لتكاثرهم بالمدينة، وامتدت الزيادة إلى

أن أدخل فيه بيوت أزواجه، ومنها بيت عائشة الذي دفن فيه صلى الله عليه وسلم بني على قبره حيطاناً أحدقت به، لئلا يظهر في المسجد فيقع الناس فيما نهاهم من اتخاذ قبره مسجداً، ثم إن أئمة المسلمين حذروا أن يتخذ موضع قبره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه، ويحذر أن يقع في نفوس الجهلة من ذلك شيء، فأروا بناء جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكن لأحد استقبال موضع القبر عند صلاته، (إكمال المعلم، ج ٢، ص ٤٥١).

ومن المعلوم يقيناً أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يدفنوا النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وإنما دفن حيث قبض في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والأنبياء يدفنون حيث يقبضون، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلضوا في دفنه، فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه»، فدفنوه في موضع فراشه صلى الله عليه وسلم. (الحديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي، ج ١، ص ٢٩٨).

ويظهر من هذا الحديث أن

هذه خصيصة للأنبياء والمرسلين، وهي أنهم يُدفنون حيث يُقبضون، والصحابة رضوان الله عليهم استجابوا لذلك ونفذوا أمره فيه فقط، ولذلك لم يكونوا يدفنون موتاهم في البيوت، وإنما كانوا يُدفنون في البقيع، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن أحداً في بيته، وهذا فيه دليل على أن الدفن في البيوت لا يجوز.

وعليه أقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يستدل على بناء المساجد على القبور بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد، وإنما دُفن في بيته الذي قبض فيه، كما ذكرت سابقاً، ولما احتاج الناس إلى توسعة المسجد دخلت الحجرة فيه، وكان هذا في أواخر المائة الأولى من السنة الهجرية، وكان عامة الصحابة أفضوا إلى ربه.

قال ابن تيمية رحمه الله: المسجد لما زاد فيه الوليد، وأدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة، ولم يبق إلا من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغ سن التمييز الذي يؤمر فيه بالطهارة والصلاة، (انظر الرد على الإخنائي، ص ٣٣١).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله بالتفصيل قصة دخول حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «في حوادث سنة ثمان وثمانين:

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي، وإضافة حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يوسعه من قبلته سائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فشق عليهم ذلك، ويحكي أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، لأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً، والله أعلم».

(البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧٩، ٨٠).

وقد تناول الشيخ ابن عثيمين الرد على المستدلين بما وقع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواز بناء المساجد على القبور، فقال: إذا قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبير الرسول صلى الله عليه وسلم الآن، فإنه في وسط المسجد، فما هو الجواب؟ قلنا: الجواب على ذلك من وجود:

الوجه الأول: أن المسجد لم يُبنى على القبر، بل بُني المسجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في

المسجد، بل دُفن في بيته. الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها بيت عائشة رضي الله عنها مع المسجد ليس باتفاق الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، فليس مما أجاز الصحابة أو أجمعوا عليه مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضاً سعيد بن المسيب من التابعين، فلم يرض بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتى بعد إدخاله: لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد فليس المسجد مبنياً عليه. (القول المفيد على كتاب التوحيد، ج ١، ص ٣٩٨، ٣٩٩).

وأضيف إلى ذلك فأقول: إن فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثابت في السنة الصحيحة والصلاة فيه بألف صلاة، وسواء في ذلك ما كان قبل دخول القبر أو بعد دخوله، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بنى مسجده وهو حي، وبنيت بيوت أزواجه بجواره، ودُفن في بيت عائشة وهو خارج المسجد، فلا يجوز لأحد أن يستدل ببناء المساجد على القبور بهذا العمل ويترك النصوص الصريحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن بناء المساجد القبور.

وقد سبق ذكر بعضها،

**والحمد لله رب العالمين.**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ما يزال الحديث متصلاً عن تفسير آيات سورة الحجرات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قال الله تعالى: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّهُ** **تَضَى الظَّنَّ يَنُتِ** (الحجرات: ١٢).

نهت الآية الكريمة أولاً عن الظن؛ لأن الظن السيئ هو سبب الأمراض الثلاثة التي نهت عنها الآية السابقة، وهو أيضاً سبب للمرضين المذكورين بعده، فهو الذي يخمل على احتقار الناس، والسخرية منهم، واغتيابهم.

وأعيد النداء خامس مرة لاختلاف الغرض والاهتمام به، وذلك أن المنهيات المذكورة بعد هذا النداء، من جنس المعاملات السيئة الرخسية، التي لا يتفطن لها من عومل بها فلا يدفعها، فما يزيلها من نفس من عامله بها إلا الإيمان.

والمراد بـ الظن هنا: الظن المتعلق بأحوال الناس، وحذف المتعلق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن هو اثم. وجملة إن بعض الظن اثم استئناف بياني؛ لأن قوله: اجتنبوا كثيراً من الظن يستوقف السامع ليتطلب البيان، فأعلموا أن بعض الظن جرم، وهذا كناية عن وجوب التأمل في أثار الظنون، ليعرضوا ما تفضي إليه الظنون على ما يعلمونه من أحكام الشريعة، أو ليسألوا أهل العلم، وفي قوله تعالى: اجتنبوا كثيراً من الظن، تاديب عظيم يبطل ما كان فاشياً في الجاهلية من الظنون السيئة، والتهم الباطلة، وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة، والمكائد، والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذراً من اعتداء مظنون ظناً باطلاً، كما قالوا: خذ اللص قبل أن يأخذك.

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: "اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك، ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء. فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه، بل الشك أيضاً معفو عنه، ولكن المنهي عنه أن يظن، والظن عبارة عما تركز إليه النفس، ويميل إليه القلب. وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام



# سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

(٨)

تفسير د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّهُ**

**تَضَى الظَّنَّ يَنُتِ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبِ**

**بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَن**

**يَأْكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**

**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**

(الحجرات: ١٢).

الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك، ولم تسمعه بأذنك، ثم وقع في قلبك، فإنما الشيطان يلقيه اليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُبَيِّنُوا قَرِينًا بِمَحْفَلٍ مُّصَيَّرًا عَلَيَّ مَا مَثَلُ نَجْوَيْهِمْ** (الحجرات: ٦).

فلا يجوز تصديق إبليس، فإن قلت: فيماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج، والنفس تحدث؟ فنقول: أمانة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان، فينفر عنه نفوراً ما ويستثقله، ويضتر عن مراعاته، وتفقدته وإكرامه، والاعتناء بسببه: فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه.

ولما نهى الله تعالى عن الظن أتبعه بالنهي عن التجسس، والتجسس هو محاولة هتك ستر الآخرين، والبحث عن عوراتهم، لأنه لما ظن أراد أن يتثبت، ولا يمكنه أن يتثبت إلا بالتجسس، عن قتادة قال: هل تدرون ما التجسس؟ هو أن تتبع، أو تتبغي عيب أخيك لتطلع على سره. وعن مجاهد قال: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله (جامع البيان: ١٣٥/٢٦)، فلا يجوز لمسلم أن يتتبع عورات أخيه، ولا يجوز لمسلم أن يبحث عن عيوب أخيه، فإن رسول الله بين أن من ستر مسلماً ستره الله في

الدنيا والآخرة) (٢٦٩٩م)، وبالعكس؛ من فضح مسلماً فضحه الله في الدنيا والآخرة؛ قال رسول الله: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته) (صحيح أبو داود: ٤٠٨٣).

أما النهي الثالث في الآية فهو: الغيبة؛ هي ذكر الغائب بما يكره: عن أبي هريرة أن رسول الله قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره). قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته) (مسلم ٢٥٨٩).

ولقد قبح الله الغيبة، وصورها بأبشع الصور، تنفيراً للمؤمنين عنها، أيحب أحدكم أن يجلس علي جيفة مؤمن يقطع منها ويأكل؟ فكرهتم الأكل من الجيفة، لأن طباعكم تنفر منها، فإذا كرهتم ذلك طبعا فأكرهوا الوقوع في أعراض



الناس شرعاً، فإن الله ينهاكم عن الوقوع في أعراض المؤمنين. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) (صحيح أبو داود: ٤٠٨٢).

وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله، فقام رجل فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي: (تحلل). فقال: ومما أتحلل وما أكلت لحمًا؟ قال: (إنك أكلت لحم أخيك) (صحيح الترغيب: ٢٨٣٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي: حسبك من صفة كذا وكذا، تعنى قصيرة. فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته). (صحيح أبو داود: ٤٠٨٠).

فاتق الله يا عبد الله في إخوانك المؤمنين ولا تتبع عوراتهم، ولا تذكر سوءاتهم، واعلم أن كل إنسان مؤاخذ بكل كلمة يقولها، إن معاذ بن جبل طلب من رسول الله الوصية، فكانت وصية رسول الله له: (كف عليك هذا). فقلت: يا نبي الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (تكلمت أمك يا معاذ؛ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) (صحيح الترمذي: ٢٦١٦).

وللحديث بقية إن شاء الله،  
**والحمد لله رب العالمين.**



# مصنفات فقهاء

## المسلمين

### الأوائل في

### المالية العامة

د. أيمن خليل



إعداد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، نتناول في هذا العدد إن شاء الله أبرز مصنفات فقهاء المسلمين الأوائل في المالية العامة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

متخصصة تختص بمسائل محددة، ومن ذلك: مصنفاتهم في الخراج باعتبارها من أهم مصادر بيت المال، والخراج هو الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي التي تزرع حبوباً ونخيلاً وفاكهة.

وكان عمر -رضي الله عنه- قد أمر بمسح السواد (أرض العراق)، ودفعه إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة، ولذلك سُمي خراجاً؛ لأنه خارج من الأرض، ونعرض لأشهر المصنفات في الخراج، وهي أربعة كتب: كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة

جموع الناس مع الانضباط بأصول الشرع؛ لأنه لا ينبغي أن يشق الفقهاء على الناس باسم الدين، كما لا ينبغي الانخلاع من أحكام الشريعة ومخالفة أوامر الله عز وجل باسم التيسير على الناس، وخاصة في ظل محاولات ظاهرة تسعى حثيثاً لتطويع الشريعة الإسلامية لأنظمة تتناقض معها بصورة جذرية. وقد صنّف بعض الفقهاء لمسائل مالية واقتصادية تبين جهود الفقهاء في مواكبة الفقه الإسلامي للتطور ووفائه بحاجات الناس في مختلف الدهور والعصور، وصنّف فقهاء المسلمين مصنفات

لما كانت نصوص الشريعة محدودة والنوازل غير متناهية؛ فقد قام الفقهاء بدور جوهري في استنباط الأحكام الفقهية لهذه النوازل، ومن يتأمل جهود فقهاء المسلمين علي مدار القرون الماضية يجد تراثاً عظيماً وثروة ضخمة، وهداً مشكوراً لهم، كما يتبين للناظر مدى حضورهم عند كل نازلة، وتناولهم لحكمها، وهو ما أظهر مرونة الشريعة وصلاحتها في كل زمان مع ثباتها وعدم تغير أصولها، وهو ما أعطى تجدداً للفقه الإسلامي، وفي مجال المعاملات اجتهد الفقهاء في التوفيق بين تحقيق مصالح

لقدامة بن جعفر. وكتاب الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي. وذلك فيما يلي:

#### أولاً: كتاب الخراج

#### لأبي يوسف القاضي؛

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي. تتلمذ لأبي حنيفة وهو أشهر أصحابه، وقد ولي أبو يوسف القضاء ببغداد في أزهى عصورها أيام المهدي والهادي وهارون الرشيد. هو أول من دعي "قاضي القضاة"، ومات في خلافة هارون الرشيد ببغداد سنة ١٨٢هـ. وصنف أبو يوسف كتابه بطلب هارون الرشيد الذي سأله في بعض المسائل فصنّف له كتاب الخراج. وهو أشبه ما يكون بكتب المالفة العامة الآن. وكان الخراج من أهم مصادر بيت المال آنذاك.

ونظم أبو يوسف في كتابه كيفية جباية الخراج وأوجه إنفاقه، ويبين أبو يوسف سبب تأليف هذا الكتاب فيقول: "... قد كتبت لك ما أمرت به وشرحته لك وبينته، فتفقّه وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك، ولم ألك والمسلمين نصحاً؛ ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه. واني لأرجو - إن عملت بما فيه من البيان- أن يوفّر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيّتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم.. فوقّلك الله لما يرضيه عنك وأصلح بك وعلى يديك" (انظر:

“

لا ينبغي الانخلاع من أحكام الشريعة ومخالفة أوامر الله عز وجل باسم التيسير على الناس، وخاصة في ظل محاولات ظاهرة تسعى حثيثاً لتطويع الشريعة الإسلامية لأنظمة تتناقض معها بصورة جذرية.

”

الخراج: أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (بدون تاريخ)، ص ١٦).

وقد نظر أبو يوسف في واقع الدولة الإسلامية فوجد بعض المظالم التي تقع من الحياة على الرعية من المسلمين ومن أهل الذمة على السواء، ووقف على تشدّد هؤلاء الحياة مع الرعية وظلمهم لهم في أثناء الجباية؛ مثل أخذ كرائم أموالهم، وزيادة مقدار الجباية بغير وجه حق، فضلاً عن عدم أمانة بعض العمال والجباة، وما أنزلوا بالرعية من ظلم، ولذا يلفت أبو يوسف نظر أمير المؤمنين إلى ذلك ويطلب منه مراقبة عمّاله ومحاسبتهم ويحذره من ظلم رعيّته، وأيضاً من ظلم أهل الذمة. (انظر: د. عصمة أحمد فهمي أبو سنة؛ رأي القاضي أبي يوسف في الحياة الاقتصادية

للدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد من خلال كتاب الخراج، المكتبة المكية - مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

وهذا أمرٌ يُحمد لأبي يوسف؛ لأن الظلم يقوِّض قواعد الملك، ولا بُد للممالك التي تبنى على الظلم أن ينهدم بنيانها ويذهب ملكها، ولذا قيل: دولة العدل تبقى وإن كانت كافرة، ودولة الظلم تزول وإن كانت مؤمنة.

#### ثانياً: كتاب الخراج

#### ليحيى بن آدم القرشي؛

هو أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي بالولاء والشهير بالأحول، تتلمذ على يد سفيان الثوري فقيه الكوفة الشهير، والقاضي المحدث شريك النخعي، وأبو بكر شعبة بن عياش المقرئ، وهو أحد رواة القراء السبعة؛ حيث أخذ القراءة عن عاصم بن أبي النجود عن عبد الله بن مسعود، وحدث عن كبار المحدثين كسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة، وخلق كثير، وعاش في زمن الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي وأبو داود الطيالسي صاحب المسند، وتوفي في خلافة المأمون بن هارون الرشيد عام ٢٠٣هـ.

وهذا الكتاب كان مخطوطة ضمن آلاف المخطوطات التي جمعها المستشرق الفرنسي شارل شيفر عضو المجمع العلمي الفرنسي ومدير معهد اللغات الشرقية، والذي أهدى هذه المخطوطات للمكتبة الوطنية الفرنسية، فجاء المستشرق الهولندي تيودور بو

نبول وحققتها وطبعها بمطبعة  
بريل بمدينة ليدن الهولندية  
عام ١٨٩٤م (وهذا الكتاب  
موجود على شبكة المعلومات  
الدولية بصيغة pdf على الموقع:  
<https://upload.wikimedia.org/wikisource/ar>).

ثم حقق المحدث الشيخ أحمد  
شاكرك هذا الكتاب وخرّج آثاره.  
وعرّف برواته، وطبعه في المطبعة  
السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ -  
١٩٢٨م. وقد اعتمد اللاحقون  
على جهده: فكل من طبع  
الكتاب بعده عالة على جهده،  
وقد حققه د. حسين مؤنس  
عام ١٩٨٧م. واعتمد على جهد  
الشيخ أحمد شاكرك. واقتصر  
على الإضافات التاريخية  
(انظر كتاب: الخراج؛ أبو زكرياء  
يحيى بن آدم بن سليمان  
القرشي (ت ٢٠٣هـ)، المطبعة  
السلفية. تحقيق الشيخ أحمد  
شاكرك، الطبعة الثانية. ١٣٨٤هـ.  
الخراج؛ أبو زكرياء يحيى بن آدم  
بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣هـ)،  
دار الشروق (القاهرة - بيروت).  
تحقيق د. حسين مؤنس. الطبعة  
الأولى، ١٩٨٧م).

وتكلم يحيى بن آدم في كتابه  
عن الغنيمة والضيء، والقطن،  
واحياء الأرض الموات، والتحجير،  
والزكاة في الأرض والزرع والتمر،  
ومقادير الكيل كالوسق والصاع،  
وما يتصل بها من أحكام، وختم  
كتاب باب في الخراج، واعتمد  
يحيى بن آدم على إيراد الآثار  
المتعلقة بهذه المسائل، ولكنه  
لم يتعرض لها من الناحية  
الفقهية.

“

**الفقهاء الأقدمون  
انتبهوا إلى أن الحاكم  
ليس مالكا لأموال الأمة  
يتصرف فيها كيف يشاء،  
وانما هو وكيل عنهم  
في إدارة هذا المال على  
نحو يحق صالح جموع  
الحكومين.**

”

**ثالثا: كتاب الخراج وصناعة الكتابة  
لقدامة بن جعفر البغدادي:**

أبو الضرج قدامة بن جعفر  
بن قدامة بن زياد البغدادي،  
كان نصرانياً وأسلم على يد  
المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء  
الفصحاء، وكان من الفلاسفة،  
وممن يُشار إليه في علم المنطق،  
عهدت إليه بعد إسلامه مناصب  
حكومية رفيعة وتولى في أواخر  
حياته منصب صاحب البريد،  
وتوفي عام ٣٣٧هـ.

ويبين قدامة بن جعفر في كتابه  
هذا الجانب الإداري والمالي  
للدولة؛ حيث بدأ كتابه بذكر  
ديوان الجيش، وبين كيف يتم  
تدوين أسماء الجنود وأوصافهم،  
ورواتبهم ووقت استحقاقاتهم،  
ثم ذكر ديوان بيت المال وبين  
فيه كيف يتم محاسبة صاحب  
بيت المال، على ما يرد عليه من  
الأموال وما يخرج من ذلك في  
وجوه النفقات.

فكل ما يدخل إلى الخزانة  
العامّة للدولة، وكل ما يخرج  
منها ينبغي أن يخضع لرقابة  
دقيقة، وهو ما يؤكد أن الفقهاء

الأقدمين انتبهوا إلى أن الحاكم  
ليس مالكا لأموال الأمة يتصرف  
فيها كيف يشاء، وانما هو وكيل  
عنهم في إدارة هذا المال على نحو  
يحقق صالح جموع المحكومين،  
وهو ما يشير إلى جهات رقابية  
داخل الدولة على الإنفاق  
العام قد تشبه الجهاز المركزي  
للمحاسبات في أيامنا هذه.

وما يشير إليه قدامة بن جعفر  
البغدادي قد أكد عليه أبو  
عبيد القاسم بن سلام في كتابه  
الأموال والذي بدأه أبو عبيد  
بباب بعنوان "صنوف الأموال  
التي يليها الأئمة للرعية  
وأصولها في الكتاب والسنة"،  
وبذلك فقد بدأ ببيان أن الحكام  
يقومون بالتبعية عن رعيتهم  
(شعوبهم) بصيانة الأموال  
المملوكة لهم جميعا، فالمال ليس  
ملكاً للحاكم كما كان الحال في  
عهد القياصرة والأكاسرة، وإنما  
هذا المال مملوك للأمة بأسرها،  
والحاكم لم يعد مالكا لرعيته  
بل إنه يعمل لديهم. وهذا الكلام  
وهذا الطرح لم يُعرف قبل  
ذلك، ولذلك فأبو عبيد يضع  
الدستور الحاكم للعلاقة بين  
الحاكم والرعية ويبين المهمة  
المنوطة به بكل دقة، وما عليه  
أن يفعله لصالحهم (وهو أشبه  
بما عُرف بعد ذلك بنظرية  
العقد الاجتماعي بين الحاكم  
والرعية).

وبعد ذلك يتكلم قدامة بن  
جعفر البغدادي عن بعض  
الجوانب الإدارية غير المطروقة  
مثل: ديوان الرسائل، وديوان  
التوقيع، وديوان الخاتم،  
(الخراج وصناعة الكتابة؛ أبو  
الضرج قدامة بن جعفر بن قدامة

بن زياد البغدادي، (المتوفى: ٣٣٧هـ)، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ٥٥).

#### رابعاً: كتاب الاستخراج لأحكام

##### الخراج لابن رجب الحنبلي

لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، وهو من أشهر علماء دولة المماليك، ومن أبرز شيوخه ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي، وله مصنفات عديدة، منها: شرح علل الترمذي، وذيل طبقات الحنابلة، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه، وجامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف، ونزهة الأسماع في مسألة السماع، والقواعد الفقهية، وغيرها كثير، وقد ولد ببغداد ونشأ بدمشق وتوفي بها عام ٧٩٥هـ). وقد جعل ابن رجب الحنبلي كتاب الاستخراج لأحكام الخراج في عشرة أبواب، وتحدث فيه عن معنى الخراج لغةً، وانتهى إلى أنه المال الذي يجبي ويؤتى به لأوقات محددة، وأورد مواضع الخراج في القرآن الكريم كقوله تعالى: **أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرَمًا فَمَرْغُ رَبِّكَ خَيْرٌ** (سورة المؤمنون: الآية ٧٢)، وفي قوله تعالى في قصة ذي القرنين: **فَهَلْ نجعل لك خَرْجًا** سورة الكهف: جزء من الآية: ٩٤، وفيما يوضع عليه الخراج من الأرضين وما لا يوضع (الاستخراج لأحكام

الخراج؛ لابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٩).

وهل الخراج أجر أو ثمن أو جزية؟ وبين أن أرض الخراج نوعان: صلح وعنوة، وأن أرض الصلح فخارجها عند الجمهور في معنى الجزية وهو يسقط بالإسلام (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص ٥٣).

ومقدار الخراج، وعرض لموقف عمر - الذي أخرجه البخاري في صحيحه - وهو ينهى عماله أن يرضوا على الرعية ما لا يطيقون من الخراج؛ حيث وقف عمر على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف - رضي الله عنهم جميعاً - فقال: كيف فعلتما؟ أخاف أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قال: قال: حملناها أمراهي له مطيقة، وفيها كثير فضل. فأعاد عليهما فقال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قال: لا. فقال عمر رضي الله عنه: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص ٨١).

فهذا عمر ينتوي أن يجعل مظلة تأمينية للأرامل والأيتام بالعراق يستغنوا بها عن الناس، وتحقق لهم حياة كريمة. أما الباب الثامن فعرض فيه لحكم تصرفات أرباب الأرض الخراجية فيها، وفي الباب التاسع: عرض لحكم تصرفات الإمام في أرض العنوة،

بعد أن تصير فينا للمسلمين أو وقتاً، أما الباب العاشر والأخير: فتحدث فيه عن حكم مال الخراج ومصارفه والتصرف فيه، وعرض لمسائل من نوادر الفقه الإسلامي التي تبين ثراء وعمقه، منها اختلاف الفقهاء في الخراج على من هو؟ وقول من قال حكمه حكم الديون واجب في ذمته لأجل أرضه فهو موضوع على رقبة الأرض، كما توضع الجزية على رقاب الأدميين. هذا نص أحمد وإسحاق، ومسألة هل يجتمع الخراج مع العشر في أرض واحدة أم لا؟ وعرض لقول مالك والشافعي: يجتمع وجوب الخراج والعشر؛ لأن الخراج أجر الأرض واجبة في الذمة، والعشر واجب في الزرع، ولخالفه أبي حنيفة والكوفيين القائلين: لا عشر مع الخراج، وجعلوا الخراج متعلقاً بنفس الثمرة والزرع، وهذا يشبه قولهم أنه يسقط بتلف الثمرة والزرع جانحة، وأنه لا يوجد كاملاً إلا إذا أخرجت الأرض مثليه؛ فإن أخرجت مثله أخذ منه نصفه (الاستخراج لأحكام الخراج: المرجع السابق، ص ١٤١ وما بعدها).

وغير ذلك من الاختلافات التي تبين مدى ثراء الفقه الإسلامي حتى في جوانبه الاقتصادية، وكيف أنهم عرفوا علم المالية العامة الذي يختص بموارد الدولة قبل أن تعرف الدول الحديثة هذا العلم بقرون عديدة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وبعد:

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، يا صاحب الخلق  
الرفيع، يا نبي الرحمة والعضو والتسامح. وألف  
لا يا مكرون، ما هكذا تورد الإبل!! فالرسوم  
المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم،  
وحملة البذاءات الشرسة والمنهجة ضد  
الإسلام والمسلمين، ومحاولة النيل من رموزه  
ومقدساته؛ للزج بالإسلام في معارك سياسية،  
وصناعة فوضى، بدأت بهجمة مفرضة على  
نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يرفضها  
ملياران من المسلمين في العالم، هبوا رافضين  
أن تكون رموزهم ومقدساتهم ضحية مضاربة  
رخيصة في سوق السياسات والصراعات  
الانتخابية، لا حرية رأي وتعبير.

من يزرع الكراهية.. يعصد العنف

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، وعلى صفحات  
مجلتنا الحبيبة مجلة التوحيد حذرنا في  
عدد الشهر الماضي من تنامي خطاب العنف  
والتحريض والكراهية الذي يسود أوروبا،  
وذلك عندما كنا نعلق على خطاب الكراهية  
لماكرون واتهاماته للمسلمين بأن الإسلام  
ديانة تعيش في أزمة، وما تلا ذلك من قيام  
بعض المتطرفين في الدنمارك والنمسا بأفعال  
عنصرية بغیضة، حيث قام بعض المتطرفين  
بحرق المصحف وتمزيقه، مما أثار غضب  
المسلمين والهيئات الإسلامية، وعلى رأسها  
الأزهر الشريف بقيادة شيخ الأزهر، وهيئة  
كبار علمائه، ثم جاءت حادثة نشر الرسوم  
المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وإعادة  
نشر تلك الرسوم، ثم أشعل ماكرون الدنيا  
بتصريحاته العنصرية التي تحض على العنف  
والكراهية بتأييده لنشر تلك الرسوم، وأنها  
تأتي تحت "خداع" ما يسمونه حرية التعبير،  
وهي عنصرية ممقوتة، وتطرف يميني يوجب  
الصراعات، والعنف والكراهية، ثم ما تلا ذلك

## حملات منهجة

## ضد الإسلام..

## ومن يزرع

## الكراهية يحصد

## العنف

جمال سعد حاتم



من أحداث قتل لأستاذ تاريخ فرنسي، وقتل ثلاثة أمام كنيسة بدون ذنب ارتكبه، وحوادث عنف انتشرت في أوروبا، بادرت كل الهيئات الإسلامية، وعلى رأسها الأزهر الشريف وكل الهيئات والمجامع الإسلامية بإدانتها واستنكارها، وديننا الحنيف ينهانا عن تلك الجرائم التي يرفضها الدين الإسلامي، مؤكداً أن أول ما يحاسب عليه يوم القيامة هو إزهاق الدماء المعصومة بغير ذنب، ومع أن ما حدث كان نتاجاً لخطاب الكراهية والتحريض الذي حذرنا منه، فالتقهر يولد العنف، ويشعل الفتنة، ولذا يجب قطع الطريق على تكريس الكراهية وتحويلها إلى وقود سهل للعناصر المتطرفة، وأصحاب الأفكار والعقائد الفاسدة.

#### خطبة ماكرون .. والتاريخ الاستعماري لفرنسا

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، وما زالت ردود الأفعال في شتى أنحاء العالم الإسلامي تستنكر بشدة الرسومات الكاريكاتورية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي أعادت نشرها جريدة «شارل إبيدو»، ودفاع الرئيس الفرنسي عن تلك الرسومات التي أثارت سخطاً ومقتاً بين المسلمين في أنحاء المعمورة، وقد أعلن مجلس حكماء المسلمين خلال اجتماعه الأخير برئاسة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب عزمه على رفع دعوى قضائية ضد مجلة «شارل إبيدو» الفرنسية الساخرة التي نشرت الرسوم المسيئة، وضد كل من يسيء للإسلام ورموزه المقدسة، وأعرب عن رفضه الشديد لاستخدام لافتة حرية التعبير في الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومقدسات الدين الإسلامي، ورفض المتاجرة بالاديان في أسواق السياسة والدعاية الانتخابية.

وإذا كان الرئيس الفرنسي قد أثار مشاعر المسلمين بتلك الخطبة؛ فإن ذلك يأتي متماشياً مع التاريخ الاستعماري لفرنسا عبر

العصور الماضية. الاستعمار الفرنسي وحملات الإبادة للمسلمين مارس الاحتلال الفرنسي حملات قتل وإبادة ونهب كثير من الدول؛ ففي عام ١٩٧٧م، جمعت فرنسا ٤٠٠ عالم مسلم تشادي وقطعت رؤوسهم بالسواطير، أثناء احتلالها تشاد.

وحيثما دخلت فرنسا مدينة الجزائر أجرت ١٧ تجربة نووية في الجزائر في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٦)، وقد أسفرت تلك التجارب عن عدد ضخم من الضحايا يتراوح بين ٢٧-١٠٠ ألف، وما زال آثارها إلى اليوم.. إنها الحضارة الغربية صاحبة القيم الإنسانية!!

وحيث خرجت فرنسا من الجزائر عام ١٩٦٢م، كانت قد قامت بزرع عدد من الأنغام أكثر من عدد جميع سكانها في ذلك الوقت، حيث قاموا بزرع ١١ مليون نغم أرضي.

وقد احتلت فرنسا الجزائر لمدة ١٣٢ عاماً، حيث أباد الفرنسيون مليون مسلم في أول سبع سنوات، ومليون ونصف المليون في آخر سبع سنوات قبل رحيلهم.

وقد احتلت فرنسا تونس لمدة ٧٥ عاماً، والمغرب لمدة ٤٤ عاماً، وموريتانيا ٦٠ عاماً، ومالي ما يزيد على قرن، والسنغال ثلاثة قرون.

وحيثما دخلت فرنسا مصر في حملتها المشنومة، ودخل الجنود الفرنسيون المساجد، وخاصة الجامع الأزهر بخيولهم، وكانوا يغتصبون النساء والحرائر أمام ذويهم، وكانوا يشربون الخمر في المساجد، وحوثوا عدداً منها إلى إسطبلات لخيولهم.

ثم يقولون الآن: إن الإسلام دين إرهاب، وإن نبينا صلى الله عليه وسلم نبي الإرهاب!! وفرنسا التي يمتلئ تاريخها بصور وحشية وهمجية في كل مكان وطأت فيه أقدام الفرنسيين، وكانوا يقومون باضطهاد البشر في صحاري بلاد الشمال الإفريقي، ويتفنون في طرق القتل بين التمثيل وقطع الرؤوس،

وسلم: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب». (البخاري: ٦١٣٧). فهي حرب معلنة محسومة النتائج. ومن كان الله جسبه كضاه أذى عدوه، «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» (الأنفال: ٦٤).

وقد يجري الله ذلك الانتقام على يد البشر، ومن أجل مظاهر ذلك قتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم. كما أجمع عليه علماء الإسلام على خلاف بينهم في استنابته، وفي حال تعذر إقامة الحد عليه، فإن الله هو الذي يتولى ذلك الانتقام كما قرره العلماء. وقد يجريه بحيوان بهيم، كما روى الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي أن ابناً لأبي لهب كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم سلط عليه كلبك». فخرج في قافلة يريد الشام، فنزل منزلاً، فقال: «إني أخاف دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا له: كلا فحطوا متاعهم حوله، وقعدوا يحرسونه، فجاء الأسد فانتزعه من بينهم، فقتله وانصرف.

وقد يجري الله ذلك الانتقام بواسطة جماد، فقد روى البخاري في صحيحه: كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فآلقوه فحضرنا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فآلقوه فحضرنا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فآلقوه. (البخاري: ٣٤٢١).

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إن من صور

بل يتباهون بتصويرهم على طوابعهم التذكارية. وحتى هذه اللحظة يعيش جنرالات الاحتلال الفرنسي مع أحفادهم مزهوين بماضيهم الأسود، والذي لم يقدموا عنه حتى الآن مجرد اعتذار عن تلك الجرائم، ثم يأتي من يحدثنا عن فضل فرنسا ويطالب بعودة الانتداب الفرنسي، ولن يذكر التاريخ قوماً أكثر وحشية بربرية من الجنس الأوروبي، ثم يأتي الرئيس الفرنسي ويتوهم أننا حمقى يستطيع أن يدغدغ مشاعرنا بكلمة أو بتغريدة على تويتر، وأن فرنسا دولة الحضارة والإنسانية، فمتى تنتهي تلك الكوميديا المأساوية. إن الإسلام ليس لديه أزمة مع أحد، فالأزمة عندكم يا سيد ماكرون!!

### إنا كفيناك المستهزئين

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، وإذا كان الغرب وأعداء الإسلام ممن وصفوا أنفسهم بأنهم أصحاب الحضارة التي تتعداهم فتصل إلى الدنيا كلها من حولهم، ولكن هيهات فماضيهم الأسود وحقدهم على المسلمين سبب انتشار الإسلام في ربوع الدنيا، حتى أصبح الإسلام الديانة الثانية بعد المسيحية، وتخوفهم من انتشار الإسلام في أنحاء أوروبا، من أن يحتل الإسلام المرتبة الأولى، والشواهد والدلالات كثيرة.

وقد وعد رب العزة سبحانه رسوله الأمين سيد المرسلين، صلوات ربي وسلامه عليه، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبات كفاية عامة لا تحصر أنواعها ولا أفرادها، كفاية لا تجعل للسخرية شأنًا. والساخر بالنبي صلى الله عليه وسلم عدو لأعظم أولياء الله، وقد تولى الله حرب من عادى ولياً من أوليائه، فكيف إذا كان سيد الأولياء، يقول رسول الله صلى الله عليه

كفاية الله نبيه استهزاء المستهزئين: تجديد محبته في قلوب المؤمنين كلما حدثت إساءة، وما نحن نرى جموع المؤمنين الغفيرة تهب مدافعة عن نبيها، وقرّة عينها، ومطالبة بمعاقبة المجرمين.

ومع كفاية الله نبيه سخرية المستهزئين إلا أن واجب نصرته وتعزيره لاحق بكل مسلم بما يطيق ولا يتحقق الضالاح إلا بذلك، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، (الأعراف: ١٥٧).

ومن أجلى صور المناصرة والتعزيز اتباع سنته حال الغضب والرضى والتمشط والمكره، ونشرها والصدع بها، والزود عنها، وجهاد شأنها. هكذا تكون نصرته، ويقدر تلك النصره تكون كفاية الله للعبد، وتخليد عمله، قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس إليهم، فقال: إن من جلس للناس جلس الناس إليه، ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم.

لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: «ورفعنا لك ذكرك» (الشرح: ٤)، وأهل البدعة كرهوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله: «إن شأنك هو الأبتّر» (الكوثر: ٣).

ومحبته صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي- تكون بنصرته في حياته ونصرة سنته بعد موته صلى الله عليه وسلم، قال الإمام النووي رحمه الله: قال القاضي عياض رحمه الله: «ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرته سنته والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه».

(شرح النووي على صحيح مسلم).

بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الهدى والرحمة أو سخر منه إلا عاجله الله بالهلاك: سنة كوثية متكررة، «إن شأنك هو الأبتّر»، «إنا كضيناك المستهزئين».

#### محبية النبي صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء

فذاك أبي وأمي يا رسول الله، فمحبتك أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، قال تعالى: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين» (التوبة: ٢٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله عز وجل، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار» (البخاري: ٢١).

ومع وضوح هذا الأمر لعامة المسلمين وخاصتهم، إلا أننا نرى بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسلام غلت في حب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخرجها عن حد البشرية، وإن كان الغلو مذموماً، فإن هذا لا يعني أن يتصف العبد بنقيض ذلك حتى يصل إلى الجفاء، ولا يتأدب بما أوجبه الله على عباده تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل المؤمن الحق هو الذي يتصف بالوسطية والعدل في شأنه كلها، ومن ذلك عبادة تعظيم الأنبياء، وإعطائهم حقهم من التعظيم دون غلو أو جفاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# أخلاقنا من الكتاب والسنة

إبراهيم رفعت

العديد من الآيات والأحاديث الشريفة التي تحت المسلم على إكرام الضيف وأداب الضيافة لتتعلم منها و نلتزم بها في حياتنا فهما وتطبيقاً عملياً. ولنا العظة والعبرة في قصة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع ملائكة الرحمن وقد أكرمهم و قدم لهم الطعام. قال الله تعالى: (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون) (الذاريات: ٢٤-٢٧).

فالآية دليل قاطع على أن نبي الله إبراهيم عليه السلام هو أول من أكرم ضيفه حسب ما جاءت به الآية الكريمة.

## الله أكرم الأكرمين،

من صور كرم الله عز وجل على عباده أن جعل الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء وجعل السيئة بواحدة. قال تعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون». (الأنعام: ١٦٠). وقال تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم». (البقرة: ٢٠١).

ومن أعظم صور الكرم والبذل والعطاء، أن يوجد

الرحم لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد أكد أهل الفضل من العلماء الربانيين على أن إكرام الضيف من أهم مكارم الأخلاق العظيمة التي اهتمت بها الشرائع السماوية، ومن الخصال التي حث عليها ديننا الحنيف، وهو من جميل وأعظم الأخلاق التي تمسكت بها جميع الرسل والأنبياء، والكرم لا يتمثل في إطعام الطعام فقط أو الإسراف فيه، إنما هو المبادرة في بذل المعروف والإحسان والرحمة والعدل والرفقة والحب والمودة والابتسامه وجبر الخواطر وغير ذلك من صور البر المختلفة قبل إطعام الطعام على حبه المساكين والفقراء والأضياف.

والكرم باب من أبواب الخير العظيم وسبيل المتقين فقد أكدت الشريعة الإسلامية على قدر وشأن الكريم، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: "سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: من أكرم الناس؟ قال: اتقاهم لله". (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) (رواه البخاري ومسلم).

فالكرم من حسن الإسلام وكمال الإيمان، ودليل على حسن الظن بالله تعالى، وقد رزق الله - سبحانه وتعالى- الكريم محبته ومحبة الناس له.

فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة

المسلم بنضبه وماله وولده في سبيل الله: لقوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة: ١١١).

وقال تعالى: «قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» (سبا: ٣٩).

أي ما أنفقتم في رضا الله - عز وجل - فهو يخلفه في الدنيا بالمال أو بالقناعة وفي الآخرة بالجزاء المضاعف.

### كرم النبي صلى الله عليه وسلم:

عندما نتحدث عن الكرم والبذل والعطاء فلا بد أن نبحر في أهم صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من أمانة وصدق ورحمة وبذل وعطاء إلى غير ذلك من خصاله الشريفة؛ وبالرغم من ذلك لا يزال الحاقدون ينفثون شرورهم للتبيل منه صلى الله عليه وسلم إلا أن مساعيهم دائما ما تذهب سدى وكأنها ليست إلا نقطة سوداء في بحر صاف يتقرقق ماؤه النقي؛ فحسبوا وصل سعيهم. فالكرم من الصفات التي لازمت نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، فلم يكن كرمه وسخاؤه بذلا عاديا وإنما كان فياضا وبسخاء غير معهود؛ فلا ينطق فقط ما يزيد عن حاجته، وإنما كان يتصدق صلى الله عليه وسلم حتى بما هو في حاجة إليه؛ عرف عنه أنه لا يرد سائلا وأنه يعطي عطاء من لا يخاف فقرا...

وقد حثنا صلى الله عليه وسلم أن نقتدي به وأن يتصدق كل من سعته، وأوصى أمته بالإنفاق وذم البخل والشح؛ حيث قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط متفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا» (رواه البخاري).

وعطاء النبي صلى الله عليه وسلم وتبيله لم يقتصر على ذوي القربى والمحبين والمناصرين له فقط، بل امتد ليشمل أعداءه أيضا؛ فقد وصفته أم المؤمنين خديجة: رضي الله عنها بقولها: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري

الضيف، وتعين على نوائب الدهر». رواه البخاري. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم لأصحابه ولأمته كافة نموذجا في الإيثار؛ فكان يؤثر على نفسه حتى وإن كانت به حاجة وخصاصة؛ فعن سهل بن سعد، أنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ببردة؛ فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي محتاجا إليها فلبسها، فرأها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه فاكسنيها. فقال: «نعم». فلما قام النبي لام أصحابه الرجل، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي؛ لعلني أكفن فيها). أخرجه البخاري.

ومن أعظم ما جاء في إكرام الضيف وإيثاره على النفس والأولاد هذه القصة العظيمة التي عجب الله من أصحابها، وضحك إليهم، وأنزل الوحي بها على نبيه صلى الله عليه وسلم، أن الله في السماوات عجب وضحك إلى هذين الصحابيين الجليلين، الرجل وزوجته.

والقصة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم جانعا يريد من يضيفه، فبعث إلى نسائه صلى الله عليه وسلم، فقلن: ما معنا إلا الماء؟ وهذا بيت أعظم قائد في الأمة ما عنده إلا ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، قال: هبني طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، إذا طلبوا الأكل نومهم، فهبت طعامها وأصلحت سراجها، يعني: أشعلت الفتيلة، ونومت صبيانها. ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلها يريانه أنهما يأكلان، فلما أصبح الضيف وصاحب البيت، غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ضحكك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما، فأنزل الله: قوله تعالى في سورة الحشر (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (رواه البخاري).

والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله  
وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلما ظهر علينا في هذه الفترة-كسابقتها كثير-  
شردمة من أنامل حاقدة وصور أئمة ونفوس سافلة  
تحاول التئيل من أظهر الخلق وسيد الأنبياء: فكان  
ذلك جرحاً ألم بجميع المسلمين فوجب البيان-

والبيان فطرة وديانة: إذ ندين بذلك حياً  
وعقيدة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم تمتلئ  
يمثل هذه المعاني، والتي تبين تكفل الله عز وجل  
بكفاية نبيه والانتقام له: فالبشرى يا عباد الله،  
ومن ذلك:

الحديث:

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان رجل نصرانياً  
فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب  
للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان  
يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله  
فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا  
فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن  
صاحبنا فألقوه، فحضروا له فأعمقوا، فأصبح وقد  
لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه،  
نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحضروا  
له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح  
وقد لفظته الأرض، فعلموا: أنه ليس من الناس،  
فألقوه.

التخريج:

هذا الحديث متفق عليه إذ روي في:

١- صحيح البخاري كتاب: المناقب باب علامات  
النبوة في الإسلام حديث رقم: ٣٤٥٢.

٢- صحيح مسلم - كتاب: المناقب حديث رقم:  
٥١١٦.

توطئة:

نحن في رحاب حديث من صحيح السنة ودلائل  
النبوة يرويه تارة شيخ المحدثين في كتاب: مناقب  
سيد المرسلين، وتارة تلميذه وقريته الإمام مسلم  
في كتاب: المناقبين: فكانهم يقولون معاً: هذا  
الحديث الشريف وإن كان بياناً لحال المنافقين  
وبعض صفاتهم: فهو من مناقب سيد المرسلين،



## العبر

### في انتقام الله

### ممن سخر من

### سيد البشر

الحلقة الأولى

إعداد:

د. مرزوق محمد مرزوق



ومن دلائل نبوة خاتم النبيين، فلولاً اشتعال قلوب المرجفين وغلبياتها حقداً وحسداً وغيره ما كان لنا أن نشم طيب عرف عود محبة الله لثبيبه ونصرته له؛ فالمُنحة وليدة المُنحة، والبشرى عاقبة المسلمين.

### شرح الحديث:

قال في هدي الساري شرح صحيح البخاري (كتاب المناقب) ج ٨ ص ١١٠: عن أنس-رضي الله عنه- أنه قال: (كان رجل نصرانياً) لم يُسم. وفي مسلم أنه من بني النجار (فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي-صلى الله عليه وسلم-) الوحي: (فعاد نصرانياً) كما كان، ولمسلم من طريق ثابت عن أنس فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه (فكان يقول) لعنه الله: (ما يدري محمد إلا ما كتبت له؛ فأماته الله)، ولمسلم: فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم (فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض) بفتح الفاء في الضرع، وقال السفاقي وغيره بكسرهما أي: طرحته ورمته من داخل القبر إلى خارجه: لتقوم الرحمة على من راه ويدل على صدقه-صلى الله عليه وسلم- (فقالوا) أي أهل الكتاب (هذا) الرمي (فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم) وللإسماعيلي: لما لم يرض دينهم (نبشوا عن صاحبنا) قبره (فألقوه) خارجه (فحضروا له فأعمقوا) بالعين المهملة أبعدها (فأصبح) ولأبي ذر: فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح (وقد لفظته الأرض، فقالوا: (هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم) سقط لما هرب منهم لأبي ذر (فألقوه) خارج القبر (فحضروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد) ولأبي ذر: قد (لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس)، بل من رب الناس (فألقوه) وفي رواية ثابت عند مسلم: فتركوه منبوذاً.

هذا ومطابقة الحديث للترجمة من حيث ظهرت معجزة النبي-صلى الله عليه وسلم- في لفظ الأرض إياه مرات؛ لأنه لما ارتد عاقبه الله تعالى بذلك لتقوم الرحمة على من يراه ويدل على صدق الشارع. (وينظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله: ج ٦ ص ٧٢٣)، وكذلك (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) في شرحه للحديث.

### مما يستفاد من الحديث:

أولاً: الايتلاء من سنة الله عز وجل في عباده؛ إذ يبتلى المرء على قدر دينه، الأمثل منهم فالأمثل، فكان أشد الناس بلاء الأنبياء وبيانه من القرآن: قال تعالى: ﴿كَذَٰبَ مَا آتَىٰ الرَّبِّ مِن قَبْلِهِمْ مِن رُّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ قَدِيمٌ ﴿٥٢﴾ نُوَاصِرًا يَوْمَ لَمْ يَكُن مِّنْ قَوْمٍ مَّطَاعُونَ﴾ (الذاريات: ٥٢-٥٣)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰبِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰبِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنَّا بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١)، ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل..." الحديث، وهو صحيح.

فيا أيها المسلمون: بشراكم اليوم ببشرى رسول الله لكم على ما بكم من غيظ وحن.

ثانياً: ومن البشريات أن يعتقد المسلم-كما يعتقد الشهادتين والقرآن- يعتقد أن الله ناصر دينه ومنتقم لثبيبه العدنان صلى الله عليه وسلم.

ودليل ذلك ما استفدناه من هذا الحديث؛ إذ هذا الحديث دليل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصارم المسلول على شاتم الرسول" (ص ٢٣٣) معلقاً على القصة: "فهذا الملعون الذي افتري على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له؛ قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله صلى الله عليه وسلم ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه، ولكذب الكاذب إذا لم يمكن للناس أن يقيموا عليه الحد" أ.هـ.

وهناك أدلة لا تحصى كثيرة، ومن ذلك:

- ١- قال عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَثَرُ﴾ (الكوثر: ٣)، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا كُنْهَدُ السُّتْمَرِيِّينَ﴾ (الحجر: ٩٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٢٧٦/٦):

"وقد سمي أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين. وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به...". ١. هـ.

وقال أيضاً رحمه الله في "الصارم المسلول" مقراً قاعدة تؤكد ما اعتقدناه. ذاكراً من التجارب بخصوص سب النبي صلى الله عليه وسلم ما استفدناه فيقول: "ونظير هذا ما حدثناه أعداداً من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية. لما حصر فيها بنو الأصغر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر. وهو ممتنع علينا حتى تكاد نياس منه. حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقعية في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر. ولم يكذبنا يوماً أو يومين أو نحو ذلك. ثم يفتح المكان غنوة. ويكون فيهم ملحمة عظيمة. قالوا: حتى إنا كنا لتبأشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه. مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه..

- وفي زماننا تروى قصة لسلفنا شيخ أنصار السنة - رحمه الله الشيخ أحمد شاكر عن والده ذاكراً لعقوبة حلت بمن انتقص الرسول في ذلك الزمان. وهي لأحد خطباء مصر. وكان فصيحاً متكلماً مقتدرأ وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين. فقال في خطبته: جاءه الأعمى - يقصد به طه حسين وأنه جاء لهذا الأمير - فما عبس بوجهه وما تولى!

فما كان من الشيخ محمد شاكر - والد الشيخ أحمد شاكر وكان من علماء الأزهر - إلا أن قام بعد الصلاة. يعلن للناس أن صلاتهم باطلية. وعليهم إعادتها: لأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم. (وقد شكلت لجنة من الأزهر آنذاك وقرروا أن هذا الخطيب عرض بجناب النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو عبس وتولى. والملك الذي أراد مدحه كان أفضل فلا عبس ولا تولى. هكذا قال هو.

يقول أحمد شاكر: "ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا. قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة. فأقسم بالله لقد رأيت به عيني رأسي - بعد بضع

سنين، وبعد أن كان عالياً منتفخاً. مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء - رأيت مهيناً ذليلاً. خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة. يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار. حتى لقد خجلت أن يراني. وأنا أعرفه وهو يعرفني. لا شفقة عليه. فما كان موضعاً للشفقة. ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة. ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.. ونقول بعيداً عن جدليات أن الخطيب يعذر أو لا يعذر. لكننا ذكرنا القصة لاستخلاص العبرة ممن تجرأ على التنقص من رسول الله.

#### فائدة: حكم السب ومناطه:

أولاً: جرم الطاعن على الرسول صلى الله عليه وسلم الساب له أعظم من جرم المرتد. ودليل ذلك: لما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من ابن أبي السرح أهدر دمه لما طعن في النبوة واقتري عليه الكذب. مع أنه قد آمن جميع أهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه أشد المحاربة. ومع أن السنة في المرتد أنه لا يقتل حتى يستتاب إما وجوباً أو استحباباً.

ثم إن إباحة النبي صلى الله عليه وسلم دمه بعد مجيئه تائباً مسلماً وقوله: "هلا قتلتموه". ثم عفوه عنه بعد ذلك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أن يقتله وأن يعضو عنه ويعصم دمه. وهو دليل على أن له - صلى الله عليه وسلم - أن يقتل من سبه وإن تاب وعاد إلى الإسلام."

وقال ابن تيمية في الصارم المسلول ج ٣ ص ٩٧٨.. وما بعدها: قال القاضي عياض: "جميع من سب النبي أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له والإضرار عليه أو البغض منه والعيب له فهو ساب له. والحكم فيه حكم الساب يقتل. ولا نستثنى فضلاً من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ولا نمتري فيه تصریحاً كان أو تلويحاً. وكذلك من لعنه أو تمنى مضرته له أو دعا عليه أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عيبه في جهته العريضة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا، أو غير به بشيء مما يجري من البلاء والمحنة عليه أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه: قال هذا كله إجماع من العلماء وأئمة

حرجاً من حكمه فمن شاجر غيره في أمره وحرج لذكر رسول الله حتى أفحش في منطقه، فهو كافر بنص التنزيل، ولا يُعذر بأن مقصوده رد الخصم؛ فإن الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. اهـ

هذا وما سبق من الحكم بوجود القتل هو حكم في الدنيا حتى لا تكون الأمور فوضى بخصوص صيانة جناب النبوة فيضتري كل سفيه، ثم يبادر بإعلان توبة كاذبة أو صادقة؛ فالله أعلم بها، فكان عقابه في الدنيا أنه يُقتل بأمر أولياء الأمور، وتوبته تُوكل في الآخرة إلى ربه وتنبه على هذا لأمرين:

الأول: حتى لا يلتبس على القارئ ما يلبسه بعض المخالفين بسؤالهم كيف يغض الله للكافر بالله إذا تاب ولا يغض لهذا الساب؟ فالجواب ما سبق بيانه. والثاني: أن تطبيق الأحكام الشرعية تكون لأولياء الأمور، ولا تُترك لعوام الناس والا كانت المفسد أعظم، ولصارت الأمور فوضى.

هذا، وللحديث بقية في شفاء صدور الموحدين ببيان منزلة سيد المرسلين في شهرنا القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الفتوى من لدن أصحابه وهلم جرا". وقال شيخ الاسلام: "ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه والإزراء به أو لا يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعاً له أو لا يقصد شيئاً من ذلك، بل يهزل ويمزح أو يفعل غير ذلك؛ فهذا كله يشترك في هذا الحكم إذا كان القول نفسه سباً (فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب..)

وقال «ومن قال (مجرد قول) ما هو سب وتنقص له: فقد آذى الله ورسوله وهو مأخوذ بما يؤدي به الناس من القول الذي هو في نفسه أذى وإن لم يقصد أذاهم... ألم تسمع إلى الذين قالوا: «إنما كنا نخوض ونلعب»؛ فقال الله تعالى: «اللَّهُ زَمَانِيهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ فَتَقَرُّوهُمْ وَلَا تَسَدُّوهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا مَن كَفَرُوا فَتَعْلَمُوا بِمَن كَفَرُوا فَتَكْفِرُوا» (التوبة: ٦٥-٦٦)، وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي أو حكم من حكمه أو يدعى لما سنه فيلعن ويقبح ونحو ذلك... وقد قال تعالى: «فَلَا وَرَيْدَ لَؤْيُؤُوكَ حَتَّىٰ يُحْكُمَوكَ مِنمَا تَحْكُمُ بِتَنهُنَّ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَمًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْئَلُوكَ تَنبِيئًا» (النساء: ٦٥)؛ فأقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه ثم لا يجدوا في نفوسهم

### تهنئة واجبة

يسر أسرة تحرير مجلة التوحيد أن تتقدم بخالص وأصدق التهاني القلبية للباحث/ أحمد عبد الرحمن محمد السيد، المدرس المساعد بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، فرع تفهنا الأشراف، وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في رسالته التي كانت بعنوان «التسويق الهجومي في ميزان الفقه، دراسة مقارنة».

وقد تكونت لجنة المناقشة والإشراف من كل من:

- ١- الأستاذ الدكتور السيد حافظ خليل السخاوي مشرفاً أصلياً.
- ٢- الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد منصور، مناقشاً داخلياً.
- ٣- أ.د/ زينب عبد الحافظ أحمد عطية، مناقشاً خارجياً.
- ٤- أ.د/ مصطفى محمد عبد الجليل أبو حجازي مشرفاً مشاركاً.

وأ أسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بخالص التهنئة متمنية لسيادته مزيداً من التقدم والرفي.

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

# فقه المرأة في النكاح

الحلقة  
( ٣٩ )

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة  
السابقة عن معنى الخطبة، وحكم  
خطبة المعتدة، وحكم النظر  
إلى المخطوبة، ونستكمل بعض  
الأحكام المتعلقة بفقه النكاح  
سائلين الله عز وجل أن يتقبل  
جهد القلم وأن ينفع به المسلمين.

اعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

## أولاً: حظر الخلوة بالمخطوبة:

الخطبة: وعد بالزواج، وليس بين الخاطب والمخطوبة صفة شرعية تجعل له الحق أن يخلو بها، ومن المعلوم أنه لا يجوز لرجل أن يخلو بامرأة لا تحل له: فعن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» أخرجه البخاري (٥٢٣٣) ومسلم (١٣٤١).

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» أخرجه أحمد في المسند (١٥٦٩٦). وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٢١٦/٦).

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ياكم والدخول على النساء؛ فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحموم؟ قال: الحموم موت» أخرجه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢).

وهذه أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد بتصرف (٣/٣١): «وأما النظر إلى المرأة عند الخطبة، فأجاز ذلك مالك إلى الوجه والكفين فقط، ومنع ذلك قوم على الإطلاق. وأجاز أبو حنيفة النظر إلى القدمين مع الوجه والكفين.

والسبب في اختلافهم أنه ورد الأمر بالنظر إليهن مطلقاً، وورد بالمنع مطلقاً، وورد مقيداً، أعني بالوجه والكفين، على ما قاله كثير من العلماء في قوله تعالى: «ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها» (النور: ٣١) أنه الوجه والكفان، وقياساً على جواز كشفهما في الحج عند الأكثر، ومن منع تمسك بالأصل وهو تحريم النظر إلى النساء».

جاء في المغني لابن قدامة (٧/٩٦): «ومن أراد أن يتزوج امرأة، فله أن ينظر إليها من غير أن يخلو بها، لا تعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها.... ولا يجوز له الخلوة بها؛ لأنها محرمة، ولم يرد الشرع بغير النظر، فبقيت على التحريم؛ ولأنه لا يؤمن مع الخلوة الواقعة المحظورة».

جاء في شرح الزركشي على مختصر الخرقى (٥/ ١٤٣): "ومن أراد أن يتزوج امرأة فله أن ينظر إليها من غير أن يخلو بها".

قال الحافظ في الفتح (٢٤٢/٩): "قوله: «إياكم والدخول» بالنصب على التحذير، وهو تنبيه المخاطب على محذور ليحترز عنه كما قيل: إياك والأسد، وقوله «إياكم» مفعول بفعل مضمّر تقديره «اتقوا»، وتقدير الكلام اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء والنساء أن يدخلن عليكم، ووقع في رواية ابن وهب بلفظ: «لا تدخلوا على النساء» وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى".

قال الشوكاني في النيل (١٣٤/٦): "والخلوة بالأجنبية مجمع على تحريمها، كما حكى ذلك الحافظ في الفتح، وعلّة التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما وحضوره يوقعهما في المعصية".

#### ثانياً: العدول عن خطبة المرأة وأثره:

إذا قدم الخاطب صداقاً (مهرًا) للمخطوبة، ثم عدل عن الخطبة أو عدلت هي عن الخطبة، ففي كلتا الحالتين يجب ردّ الصداق للخاطب؛ لأنه دفعه مقابل الزواج، وحيث إن الزواج لم يتم فله الحق في استرداد ماله كله.

أما ما يقدمه الخاطب من هدايا؛ فإن كانت على سبيل الهبة المطلقة فليس له أن يرجع فيها؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العائد في هبته كالعائد في قبينه» أخرجه البخاري (٢٦٢٢) ومسلم (١٦٢٢). وفي رواية: «ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قبينه» أخرجه البخاري (٢٦٢٣) ومسلم (١٦٢٠).

وهذه أقوال أهل العلم في المسألة: جاء في المدونة (٤/ ٤١٤): «أرأيت إن وهبت لرجل هبة فعوضني منها، أياكون لواحد منا أن يرجع في شيء مما أعطى في قول مالك؟ قال: لا».

جاء في المجموع شرح المذهب (٣٨٣/١٥): "والى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تقبض ذهب جمهور العلماء إلا هبة الوالد لولده".

جاء في المغني لابن قدامة (٦/ ٦٥): "ولا يحل لوأهب أن يرجع في هبته، ولا لمهد أن يرجع في هديته، وإن لم يشب عليها: يعني وإن لم يعوض

عنها. وأراد من عدا الأب؛ لأنه قد ذكر أن للأب الرجوع، بقوله: "أمر برده"، فأما غيره فليس له الرجوع في هبته ولا هديته.

جاء في المحلى لابن حزم (٨/ ٧١): "ومن وهب هبة صحيحة لم يجز له الرجوع فيها أصلاً مذ يلفظ بها إلا الوالد، والأب فيما أعطيا، أو أحدهما لولدهما فلهما الرجوع فيه أبداً - الصغير والكبير سواء. وسواء تزوج الولد أو الابنة على تلك العطية أو لم يتزوجا، داينا عليها أو لم يداينا".

قال الشوكاني في السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: ٦٢٩): "بعد أن ساق حديث «العائد في هبته كالعائد يعود في قبينه»؛ فإن هذا الحديث المشمل على هذا التشبيه المفيد للتكريه للرجوع بأبلغ ما يكرهه الإنسان، وأعظم ما تنفر عنه نفوس بني آدم يدل بأبلغ دلالة على عدم جواز الرجوع فيها".

قال الحافظ في الفتح (٢٧٩/٥): "والى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تقبض: ذهب جمهور العلماء إلا هبة الوالد لولده". انتهى كلام الحافظ.

أما إذا قدم الهدية بشرط فله الحق في الرجوع فيها إذا لم يتم الشرط، كالذي يحدث في هذه الأيام، يقدم الخاطب شبكة للعروس تأكيداً لرغبة في إتمام الزواج؛ فإن لم يتم الزواج فله الحق أن يأخذ الشبكة.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨٣/٣١): عما إذا وهب لإنسان شيئاً ثم رجع فيه، هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس لوأهب أن يرجع في هبته إلا الوالد فيما وهبه لولده، صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٩) بنحوه، وصحيح الترمذي (٢١٣٢) وصحيح سنن ابن ماجه (٢٣٧٧) وغيرهم.

وهذا مذهب الشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، إلا أن يكون المقصود بالهبة المعاوضة، مثل من يعطي رجلاً عطية ليعاوضه عليها أو يقضي له حاجة، فهذا إذا لم يوف بالشرط المعروف لفظاً أو عرفاً؛ فله أن يرجع في هبته أو قدرها، والله أعلم.

#### ثالثاً: الكفاءة في النكاح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله



عليه وسلم قال: «تَنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ» أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦). وعن سهل قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا، أخرجه البخاري (٥٠٩١).

أولاً: اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين؛ فلا يحل للمرأة المسلمة أن تتزوج بالكافر؛ لقوله تعالى: «وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ» (البقرة: ٢٢١).

قال الرحافظ في الفتح (٣٥/٩): «اعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه، فلا تحل المسلمة لكافر أصلاً... وقد جزم مالك بأن اعتبار الكفاءة مختص بالدين، ونقل عن ابن مسعود ومن التابعين عن محمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز.

ثانياً: اختلف الفقهاء في اعتبار الكفاءة في غير الدين في النكاح على قولين:

القول الأول: الكفاءة في النسب غير معتبرة، فلا يشترط لصحة الزواج التكافؤ في النسب؛ لعدم ورود الدليل الصحيح الدال على اعتبارها، فإذا تزوجت المرأة من غير كفاءة فالنكاح صحيح.

واستدلوا أيضاً بحديث فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها، فقال: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له إنكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال: إنكحي أسامة» أخرجه مسلم (١٤٨٠) وأبو داود (٢٢٨٤).

ومعلوم أن أسامة كان من الموالي، وفاطمة قرشية ومع ذلك زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه؛ فدل ذلك على الكفاءة في النسب غير معتبرة.

والى هذا القول ذهب المالكية والشافعية. القول الثاني: الكفاءة في النسب معتبرة فلا يجوز نكاح المرأة ممن ليس بكفاءة لها في النسب.

وحجتهم: قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء ولا يزوجن إلا من الأكفاء»؛ ضعيف فيه مبشر بن عبيد، قال البخاري وأحمد: ليس بشيء يضع الحديث. انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (٢٣٥/٤)، المجروحين لابن حبان (٣٧٠/٢)، والسنن الكبرى للبيهقي (١٣٣/٧)، والمعجم الأوسط للطبراني (٦/١). ولأن الشريفة تأتي أن تكون مستفرشة للخسيس فلا بد من اعتبارها.

والى هذا القول ذهب الحنفية والإمام أحمد. جاء في الهداية في شرح بداية المبتدي (١٩٥/١): «الكفاءة في النكاح معتبرة»؛ قال عليه الصلاة والسلام: «ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء، ولا يزوجن إلا من الأكفاء»، ولأن انتظام المصالح بين المتكافئين عادة؛ لأن الشريفة تأتي أن تكون مستفرشة للخسيس، فلا بد من اعتبارها بخلاف جانبها؛ لأن الزوج مستفرش فلا تفيظه دناءة الفراش».

جاء في بلغة السالك لأقرب المسالك (٤٠٠/٢): «الكفاءة المطلوبة في النكاح... الرحاصل: أن الأوصاف التي اعتبروها وفاقاً وخلافاً ستة أشار لها بعضهم بقوله:

### نسب ودين صنعة حرية

#### فقد العيوب وفي اليسار تردد

فإن ساواها الرجل في تلك الستة فلا خلاف في كفاءته وإلا فلا، واقتصر المصنف على ثلاثة منها: وهي: المماثلة في الدين والحال والحرية، ولا يشترط فيها المماثلة في غير ذلك على المعتمد فمتى ساواها الرجل في تلك الثلاثة كان كفئاً.

جاء في شرح المهذب (٢٨٢/١٧): «فإن زوجت المرأة من غير كفاءة برضاها ورضي سائر الأولياء، صح النكاح، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأكثر أهل العلم، وقال سفيان وأحمد وعبد الملك بن الماجشون: لا يصح. دليلنا: ما روي أن فاطمة بنت قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن معاوية وأبا جهم خطباني على حد الرواية التي ساقها المصنف أو على حد الرواية التي أخرجهما أكثر الجماعة بإشراك أسامة في خطبتها ثم اختار النبي صلى الله عليه وسلم

أسامة لها؛ لخلوه من صعلة معاوية، وقسوة أبي جهم؛ مع أنه كان من الموالي، قالت: فتزوجت أبا زيد، وفاطمة قريشية وأسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: حججتم أبا هند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الياقوت؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه، صحيح سنن أبي داود (٢١٠٢). رواه أبو داود والحاكم وحسنه ابن حجر في التلخيص فندبهم إلى التزوج من حجام وليس بكفو لهم.

جاء في المغني لابن قدامة (٣٣ / ٧): وإذا زوجت من غير كفاءة، فالتكاح باطل اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الكفاءة لصحة النكاح، فروي عنه أنها شرط له.

وفي (ص: ٣٥): "والكفاءة: ذو الدين والمنصب يعني: بالمنصب الحسب، وهو النسب. واختلفت الرواية عن أحمد في شروط الكفاءة، فعنه هما شرطان: الدين، والمنصب، لا غير. وعنه أنها خمسة: هذان، والحرية، والصناعة، واليسار".

جاء في فتح الباري (٣٥/٩): واعتبر الكفاءة في النسب الجمهور. وقال أبو حنيفة: قريش أكفاء بعضهم بعضاً والعرب كذلك... وقال الثوري: إذا نكح المولى العربية يفسخ النكاح، وبه قال أحمد في رواية. وتوسط الشافعي فقال: ليس نكاح غير الأكفاء حراماً، فأرد به التكاح، وإنما هو تقصير بالمرأة والأولياء فإذا رضوا صح ويكون حقاً لهم تركوه، فلو رضوا إلا واحد فله فسخه.

ثم قال الحافظ: ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث.

قال الصنعاني في سبل السلام (١٨٩/٣): "وقد اختلف العلماء في الاعتبار من الكفاءة اختلافاً كثيراً والذي يقوى هو ما ذهب إليه زيد بن علي ومالك ويروى عن عمر وابن مسعود وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز وهو أحد قولنا الناصر: أن الاعتبار الدين لقوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَبَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ) (الحجرات: ١٣)، وحديث: «الناس كلهم ولد آدم»، وتماهه: «وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ» أخرجه ابن سعد من حديث أبي هريرة، وليس فيه لفظ

«كلهم»، «وَالنَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى» أخرجه ابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ قريب من لفظ حديث سهل بن سعد.

وأشار البخاري إلى نصرة هذا القول حيث قال: باب الأكفاء في الدين وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا»، (الفرقان: ٥٤): فاستنبط من الآية الكريمة المساواة بين بني آدم، ثم أرففه بابتكاح أبي حذيفة من سالم بابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى لامرأة من الأنصار، وقد تقدم حديث: فعليك بذات الدين، وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ-بِضْمِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسَرَهَا- الْجَاهِلِيَّةَ وَتَكَبَّرَهَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ تَقِي كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ»، ثم قرأ الآية وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَنْسَابِ مِنْ عُبْيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَكَبَّرَهَا، فَكَيْفَ يَعْتَبَرُهَا الْمُؤْمِنُ وَيَبْنِي عَلَيْهَا حُكْمًا شَرْعِيًّا؟»

وفي الحديث: «أَزْبَعُ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُهَا النَّاسُ» ثم ذكر منها «الْفَخْرُ بِالنَّسَابِ» أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس، وفي الأحاديث شيء كثير من ذم الالتفات إلى الترفع بها، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بني بياضة بابتكاح أبي هند الحجام، وقال: «إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»: فنبه على الوجه المقتضى لمساواتهم وهو الاتفاق في وصف الإسلام وللناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع ولا إله إلا الله، كم حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء.

#### الراجح

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يترجح لدي القول الأول القائل بعدم اعتبار الكفاءة في النسب؛ لعدم ورود نص صحيح يدل على اشتراط الكفاءة في النسب، وأن الاعتبار هو الكفاءة في الدين، والله تعالى أعلم.

## من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة



### معركة صفين (٣)

## وقفة للتأمل

إصدار الشيخ عبد الرزاق السيد عبد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد؛ فقد انتهينا في اللقاء السابق من حديثنا حول معركة صفين عند وقف الاقتتال بين المسلمين؛ خشية فناء الأمة وضعفها في مواجهة أعدائها، واستجابة أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه لصوت الحكمة، وكذلك استجابة أهل العراق بقيادة علي رضي الله عنه، وقبوله قضية التحكيم دون شروط مسبقة، والموافقة على الحكمين اللذين تم اختيارهما؛ أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، كما سبق بيانه، لكن الخوارج فاجنوا الجميع بما أقدموا عليه من اغتيال الخليفة الراشد رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونجاة معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما من خطة الخوارج باغتيالهما مع علي رضي الله عنه.

واليوم -بعون الله تعالى- نقف وقفة للتأمل فيما مضى من أحداث، نحاول استخلاص بعض الدروس والعبر؛ عسى الله أن ينفعنا بها في واقعنا المعاصر، ونستشرف من خلالها الحذر من أعداء الأمة الذين يتربصون بها من الداخل والخارج، ونسوقها بعون الله في المحاور التالية:

## أولاً: لم يَنْجُ من الخلفاء الراشدين

غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛

هذه حقيقة مؤكدة: لم يَنْجُ من الغيلة والمقتل من الخلفاء الأربعة الراشدين غير أبي بكر رضي الله عنه، فهل كان اغتيال الخلفاء الثلاثة حوادث فردية، أم هو مخطط مُحَاك بدقة والأصابع التي خلفه واحدة وهدفها واحد وإن تعددت الشخصيات التي نُفذت مع اختلاف الأمكنة والأزمنة؟ ولكي نصل إلى نتيجة منطقية لا بد من الربط بين الأحداث: (١) بالنسبة لاستشهاد عمر رضي الله عنه؛ فالذي طعنه في الظاهر هو أبو لؤلؤة المجوسي، فهل كان وحده؟ أم كان خلفه من دبر وخطط؟

عند العودة إلى هذا الحادث نلاحظ تردد ثلاثة أسماء رأهم عبد الرحمن بن أبي بكر معاً في ظلمة الليل في زاوية من زوايا المدينة ومعهم الخنجر الذي استخدمه المجرم في جريمته يتناجون في ظلمة الليل. وعندما رأوه سقط الخنجر من يد أبي لؤلؤة على الأرض. أما أبو لؤلؤة فهو عبد مجوسي كان يعمل بالمدينة حداذاً، وأما جفينة فهو من نصارى عرب الحيرة المعروفين بولائهم لكسرى، وقد قدم نفسه لسعد بن أبي وقاص كمعلم للقراءة والكتابة؛ فبعثه سعد إلى المدينة، واستقر بها مع أبي لؤلؤة، وأما الهرمزان فقد كان حاكم الأحواز أيام كسرى، وكان قائداً عسكرياً ولم يسجل التاريخ رجلاً أكثر عناداً ووفاء لفارس من الهرمزان.

(٢) وإذا تأملنا استشهاد عثمان رضي الله عنه نجد أن الذين قتلوه هم من الغوغاء الذين جاءوا من خارج المدينة؛ متأثرين بفتنة عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء اليهودي اليمني، والذي أعلن إسلامه وأبطن كفره ونفاقه؛ ليكيد للإسلام والمسلمين.

(٣) والذي اغتال علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين هو ابن ملجم الخارجي الذي تأثر أيضاً بفتنة ابن سبأ؛ فابن سبأ هو وراء ظهور الروافض، وكذا الخوارج، فنحن

أمام مؤامرة اشترك فيها الفرس والروم واليهود، وكان اليهود يريدون أن يبدلوا الدين الإسلامي، وأن يحرفوا القرآن كما حرفوا التوراة والإنجيل من قبل. فلما لم يتمكنوا من تحريف القرآن؛ لأن الله تولى حفظه، ولما لم يتمكنوا من قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم رغم محاولاتهم المتكررة؛ لأن الله عصم نبيه من الناس حتى يبلغ دعوته؛ فانتقلوا إلى اغتيال رؤوس الدولة الإسلامية حتى يُخدثوا في المجتمع فتنة واضطراباً، وكذلك قاموا بنشر العقائد الباطلة التي نتج عنها ظهور الفرق الضالة مثل الروافض والخوارج وغيرها، فمسلسل قتل الخلفاء الراشدين الثلاثة، بل ومقتل الحسين رضي الله عنه هو إحدى حلقات المؤامرة الكبرى للحرب على الإسلام والمسلمين، وما زالت المؤامرة قائمة؛ فعلى المسلمين أن يتيقظوا لما يُحَاك لدينهم في الخارج والداخل «وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف: ٢١).

### ثانياً: قتال أهل البغي وأحكامه:

وقد استخلص العلماء أحكام قتال أهل البغي من سورة الحجرات الآية (٩): «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا... قال ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية: المسألة الرابعة:

(هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وإياها لجا الأعيان من أهل الملة وإياها عنى النبي بقوله: «تقتل عماراً الضنة الباغية» (جزء من حديث رواد مسلم).

وقوله في شأن الخوارج: «يخرجون على خير فرقة» أو «على حين فرقة من الناس»، والرواية الأولى أصح بقوله صلى الله عليه وسلم: «تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»، وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب ومن معه فتقرر عند علماء المسلمين، وثبت بدليل الدين أن علياً رضي الله عنه كان إماماً، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى يضيء إلى الحق، وينقاد إلى الصلح. اهـ. مختصراً.

وقد نقل الإمام القرطبي في تفسير الآية السالفة الذكر من سورة الحجرات الآية (٩) اجتهاد بعض أهل العلم بأن من حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لأحكام قتال أهل التأويل بلسان الحال؛ إذ كانت أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله. وقال في المسألة السابعة من شرح الآية؛ إذا خرجت على الإمام العدل خارجة باغية ولا حجة لها، قاتلهم الإمام بالمسلمين كافة، أو بمن فيه كفاية، ويدعوهم قبل ذلك إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فإن أبوا الرجوع إلى الصلح قوتلوا، ولا يقتل أسيرهم ولا يتتبع مدبرهم، ولا يُجهز عليه، ولا يُذَفَّف على جريحهم، ولا تسبى ذراريهم ولا تؤخذ أموالهم. اهـ.

### ثالثاً: المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

(١) كيف تعامل علي رضي الله عنه مع أمنا عائشة رضي الله عنها بعد انتهاء حرب الجمل التي لم يكن للصحابة فيها ناقة ولا جمل، بل كانت من تدبير الغوغاء؛ قتلة عثمان رضي الله عنه؛ حيث خافوا على أنفسهم عندما رأوا الصلح بين علي رضي الله عنه وبين طلحة والزبير وعائشة؛ فتأمر القتل ودبروا فتنة كان ضحيتها كبار الصحابة، ومنهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، المهم أن عائشة رضي الله عنها كانت في هودجها بعد انتهاء الحرب، فأكرمها علي رضي الله عنه إكراماً يناسب مكانتها؛ فجهزها بكل ما يمكن تجهيزه من متاع ومراكب وصحبة.

ونقل الطبري في تاريخه (٥٨١/٥)؛ أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جهز عائشة رضي الله عنها بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنظية» فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها

وودعتهم، وقالت: يا بني، تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.

وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجت نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لفرقة رجب سنة ست وثلاثين، وشيئها علي أميلاً، وسرح بنيه معها يوماً. ولعل في ذلك عبرة للروافض الجاقدين.

### (٢) من عجائب معركة صفين:

يذكر المؤرخون ومنهم الإمام الطبري في الجزء الخامس؛ أن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين؛ فكانت من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه مؤمناً بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من القيادة؛ حيث يدفع القادة الجنود إلى معارك غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بدايتها وفي طريقة أدائها، وفيما خلفته من آثار؛ فهم في ساحة النزال يتقاتلون، وعند الاستراحة من القتال إخوة يدخل هؤلاء في معسكر هؤلاء، ويتحدث بعضهم إلى بعض، ويذهبون معاً إلى مكان الماء فيستقون جميعاً ويزدحمون على الماء، وما يؤذي أحدهم الآخر، وإذا مات منهم أحد صلوا عليه جميعاً، كما فعلوا مع عمار بن ياسر رضي الله عنه عندما استشهد.

### (٣) معاملة الأسرى:

وكانت تتلخص معاملة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأسير في أربعة أمور:

أولها: إكرام الأسير والإحسان إليه.

الثاني: يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة؛ فإن بايع أخلى سبيله.

الثالث: إن أبى البيعة أخذ سلاحه، ويحلفه ألا

يعود للقتال ويطلق سراحه.

الرابع: إن أبي إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً.

والمقتول صبراً هو كل مقتول بعيداً عن ساحة القتال بأي وسيلة قتل. ويقول محب الدين الخطيب في تعليقه على «العواصم من القواصم»: «ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هي حرب الإنسانية الأولى في التاريخ الذي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها في القرن الحادي والعشرين. وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدوّن لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة. وقد نقل صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» عن أبي حنيفة رحمه الله قوله: «لولا ما سار علي رضي الله عنه فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين - أي: بغاة المسلمين -».

#### رابعاً: من القواعد الفقهية التي أصلها علي رضي الله عنه في قتال البغاة:

(١) أن يُقصد بالقتال مع البغاة ردعهم ولا يتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل. بينما يجوز أن يتعمد قتل المشركين والمرتدين.

(٢) إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعاً حكم الرجل البالغ الحر يُقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الكفر والردة مقبلين ومدبرين.

(٣) إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة؛ وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر؛ فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم.

وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه وكذا أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: «لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن»، وفي مصنف عبد الرزاق أن علياً أمر مناديه يوم البصرة فنادى: «لا يتبع مدبر، ولا يذفق على جريح، ولا يُقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه

فهو آمن، ولا يؤخذ من متاعهم شيء».

ونقل صاحب «تحقيق مواقف الصحابة» نهي علي رضي الله عنه وتحذيره من إيذاء النساء بقوله: «واياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم»، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «شهدت صفين، وكانوا لا تجهزون على جريح ولا يقتلون مؤلماً، ولا يسلبون قتيلاً». [المستدرک بسند صحيح.

(٤) لا يُستعان في قتالهم بمشرك أو معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يُستعان بهم على قتال أهل الردة.

(٥) إذا خرجوا على الإمام بتأويل ساخ راسلهم، فإذا ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها؛ كما بين علي رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم.

(٦) إذا لم يخرجوا عن طاعة الإمام، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تناولهم القدرة ويسهل ضبطهم؛ تركوا ولم يُحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود.

(٧) لا يُقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يُقطع عليهم النخل والأشجار.

(٨) لا يجوز غنيمه أموالهم، ولا سبي ذراريهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه». [رواه الدارقطني وصححه الألباني.

(٩) من قتل من البغاة غُسل وكُفّن وصلي عليه؛ لأنهم مسلمون.

(١٠) إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقاتل الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، وإن تمكّن الإمام من دفعهم بغير قتال فهو خير.

هذا ما تيسر إيراده، وقد أسهبنا بعض الشيء في هذه القواعد؛ لحاجة الأمة إليها، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

# الاعتناء بالأبناء من هدي الأنبياء

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛  
فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، وعطاياه لا تعد، ومن تلك النعم العظيمة وأجلها؛ نعمة الأبناء؛ قال الله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيًا بَطِلًا يُؤْمِنُونَ وَيَعْتَمِدُ اللَّهُ هُمْ بِكَثْرَتِهِمْ» (النحل: ٧٢).  
والأبناء زينة الحياة، قال الله تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (الكهف: ٤٦). وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بصلاحها، وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسئولية، يسأل عنها الوالدان يوم القيامة، أحفظا أم ضيعا؟

عبد الله أحمد الأقرع



على أموالهم بحفظها وتنميتها، والسهر على ما يصلحها، مع أن المحافظة على الأولاد فلذات الأكباد وثمرات الضوآد أولى وأنفع في الدنيا والآخرة؛ لأن الأولاد بدون تربية لا قيمة لهم، بل هم بدون تربية مصيبة كبرى على الوالدين خاصة وعلى المجتمع كله، ولذا لما قتل الخضر الغلام واندش نبي الله موسى عليه السلام من هذا قائلا: «أَفَلَنْتَ تَمَسًّا زَكِيَّةً بَعِيرٌ نَقِيسٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» (الكهف: ٧٤). فأجابه الخضر عليه السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته». (متفق عليه).  
مع هذا الإنذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهان كثير من الآباء بهذه المسؤولية، فأضاعوا أولادهم ونسوهم كأن لا مسؤولية لهم عليهم، لا يسألون أين ذهبوا ولا متى جاؤوا، ولا من أصدقائهم وأصحابهم، ولا يوجهونهم إلى خير ولا ينهونهم عن شر.  
ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص

« وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طَبْفًا **بِكُفْرًا** » (الكهف: ٨٠). أي: وكان ذلك الغلام قد قدر عليه، أنه لو بلغ، لأرهبق أبويه طغيانًا وكفْرًا. أي: لرحمهما على الطغيان والكفر، أما لأجل محبتهم إياه، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك، فقتلته، لاطلاعي على ذلك؛ سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة العظيمة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية، ما هو خير منه، ولهذا قال: « **فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّنَا سَيْرًا لِنُنْزِلَهُنَّ رُحْمًا وَأَقْرَبَ رَحْمًا** » (الكهف: ٨١). أي: ولدا صالحا، زكيا، واصلا لرحمه.

فعلى الآباء أن يقوموا بتربية أولادهم وتوجيههم وارشادهم ومراقبتهم، فكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب، وكسوة بدنه باللباس، كذلك يجب عليه أن يغذي قلبه بالعلم والإيمان، ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير زاد.

رحم الله ابن القيم حيث قال: " فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى: فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه: فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا" (تحفة المودود ١/٢٢٩).

ويزداد الاهتمام بهم لا سيما في الوقت الذي تكثر فيه الضنن، وتشتد فيه المنكرات، فإن المسؤولية تحتم عليهم الرقابة أكثر مما إذا خفت الضنن وقلت المنكرات، ألسنا في أموالنا إذا كثرت السرقة، وكثرت الخيانة نتحفظ فيها أكثر ونطلب لها المكان الأحرز؟ فكذلك يجب علينا في أولادنا، بل ملاحظة أولادنا أوجب علينا من ملاحظة المال؛ لما في إهمالهم من الخطر علينا وعلى أنفسهم وعلى الأجيال المقبلة كلها.

إن أولادنا-وليس أموالنا- هم الذين يصحبوننا في الجنة-إن شاء الله تعالى- إذا تبعونا في الإيمان، قال الله تعالى: « **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** » (الطور: ٢١)، ومما لا ريب فيه أن كل واحد من الناس لا يرضى أن يكون منعما في الجنة وأولاده

مُعذبين في النار، إننا نجزم أن الشخص لو رأى النار في الدنيا تآكل ولده تسعى بكل ما يستطيع في دفعها عنه حتى ولو على حساب نفسه، أما نار الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلذة كبده وريحانة قلبه ابنته فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك من الله شيئا، (مسلم: ٢٠٤).

فكيف بغير النبي صلى الله عليه وسلم؟ أفلا يعقل كل أب، ويقبس كيف يرى ولده يسعى في المعاصي التي هي أسباب دخول النار، ثم لا يبالي بذلك، ويزعم أنه يحبه! لو كان محبا حقا لعمل على وقاية ولده من نار وقودها الناس والحجارة قال الله تعالى: « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** » (التحريم: ٦).

فالأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله تعالى في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدتها. إن أول لبنة في بناء الشباب لبنة العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصدق التعلق بالله وحده والاعتماد عليه. هذا هو الكنز الذي يجب على الوالد أن يدخره لابنه قبل الممات، شأنه في ذلك شأن الأنبياء.

فهذا أول رسول لأهل الأرض نبي الله نوح عليه السلام بلغ من عنايته بفلذة كبده أنه مازال يدعو ابنه، ويستعطفه ليركب معه في السفينة؛ سفينة النجاة: « **يٰٓبُنَيَّ اركب معنا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ** » (هود: ٤٢)، ولكن ذلك الابن استمر على عصيانه، وقال: « **سأوي إلى جبل يعصمني من الماء** » (هود: ٤٣)، ومع هذا ما تركه، بل مازال يدعوه ويتلطف إليه لعله يستجيب، قال له: « **قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** » (هود: ٤٣)، وما زال معه حتى فرق الطوفان بينهما: « **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** » (هود: ٤٣)، إنها لحظة الفراق القاسي، ويأتي سؤال استعلام من نوح عليه السلام، عن حال ولده الذي غرق: « **وَنَادَى نُوحٌ رَجُلَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أُنذِرُكَ مِنْ أَهْلِ وَادِّ وَوَعَدَكَ الْخَلْقُ وَأَنْتَ أَتَمُّ الْمَوْكِبِينَ** » (هود: ٤٥)، والمعنى: أي: يارب، قد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ويأتي الجواب من الله سبحانه: « **قَالَ بَشْرُكَ إِنَّهُ لَأَنْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنَا** »



لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّهُ أَخْطَأَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (هود: ٤٦).

وقوله سبحانه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»؛ معناه: إنه ليس من أهلك الذين وعدت بإنجانهم، لأنني إنما وعدتك بتجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال سبحانه: «وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» (هود: ٤٠)، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام. وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من حرصه على ذريته أنه دعا الله عز وجل أن يهب ذريته ما وهبه الله إليه، لما قال الله له: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» (البقرة: ١٢٤)، بل بلغ من حرصه على ذريته أنه دعا ربه: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» (البقرة: ١٢٨)، «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» (إبراهيم: ٣٥)، وهذا من أعظم الحب والبر ببنيه، حيث دعا ربه أن يحفظ ذريته من الكفرية، وعبادة الأصنام.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «من يأمن البلاء على نفسه بعد الخليل عليه السلام؟». وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام؛ كان حريصاً على ذريته، فعندما أخبره يوسف عليه السلام برؤياه، قال له: «يَبْنَئُ لَا تَقْضُ رَبُّكَ عَنْ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا» (يوسف: ٥)، يخشى عليه السلام أن تتفرق الأسرة.

ولما أرادوا الرجوع إلى مصر مرة أخرى، أوصاهم عليه السلام، فقال: «وَقَالَ يَبْنَئُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدِ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ» (يوسف: ٦٧).

ذكر بعض المفسرين أنه خشى عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا جميعاً من باب واحد، وهذا من عنايته عليه السلام ببنيه.

ومن حرصه عليه السلام أيضاً أنه لما جمع الله شملهم-بعدما فعلوا بيوسف وأخيه ما فعلوا- لم يثرب عليهم يعقوب عليه السلام، بل بلغ من عظيم حرصه عليه السلام على ذريته أنه ما زال يوصيهم ويربيهم على الخير إلى خروج الروح؛ قال الله تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ تَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِنَّهَ مَا بَابُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَتَجِدَا

وَعَنْ لَكَ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٣)، فانظروا قوله: «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ» أي: وهو على فراش الموت، يوصي بنيه بأهم ما عنده: أن يكون الأبناء على توحيد الله، وعلى إيمان بالله عز وجل، فلما سألتهم وأجابوه بأنهم لازمون للحق-وهو عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به- اطمان قلبه عليه السلام. ومات قريراً العين.

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام من بالغ عنايته بذريته أنه دعا ربه أن يطيب أمر ذريته قبل خلقها: «قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» (آل عمران: ٣٨). وقال الله تعالى: «ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَلَيْهِمْ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَاهُ خَوْفًا ۖ قَالَتْ رَبِّ انِّي وَهِنُ الْعِلْمِ مِنِّي وَأَسْتَعْلُ الْأَرْسَ سَكِينًا ۖ وَنَمْ أَكُنُّ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ سَقِينًا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ فَرِيئًا وَبَرًّا ۖ مِن آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» (مريم: ٦-٢)، وهذه الولائية، ولالية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، أي: ولدا صالحا ترضاه، وتحببه إلى عبادك، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد.

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على ذريته؛ لما أكل الحسن ثمرة من تمر الصدقة، وأدخلها في فيه، قال له صلى الله عليه وسلم: كخ كخ، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟» (متفق عليه)، ولما أرسلت إليه إحدى بناته رضي الله عنهن لما مرض ولد لها صغير، ليايتها صلى الله عليه وسلم، فاعتذر صلى الله عليه وسلم؛ فأرسلت إليه- تقسم عليه- ليايتها، فقام صلى الله عليه وسلم ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، فأقعدته في حجره ونضسه تققعق، ففاضت عيناه. فقال سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده». (متفق عليه). ومن اهتمامه صلى الله عليه وسلم بذريته: أنه لما جاءته ابنته فاطمة رضي الله عنها تسأله خادماً، فلم تلقه صلى الله عليه وسلم، فأخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك، ثم أخبرت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله

عليه وسلم بذلك، فجاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، ودخل عليهما، فقال لهما صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكما على خير لكما من خادم؟ تكبران الله عند النوم أربعاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتسبحان ثلاثاً وثلاثين، فذلكما خير لكما من خادم، (متفق عليه).

الشاهد: مجيئه صلى الله عليه وسلم من بيته إلى بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، وهذا دليل على عظيم عنايته صلى الله عليه وسلم بذريته.

فعليك أيها الوالد الحبيب بالناسي بالأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين بالدعاء لأولادك بالهداية والصلاح. فكم من دعوة اهتدى بسببها ضال، وكم من دعوة سالحة اختصرت مسافات التربية! واحذر أيها الوالد المفضل أن تدعو على أبنائك، فقد توافق دعوتك وقتاً يستجاب فيه الدعاء، فتستجاب دعوتك على ولدك فتجني أنت عاقبتها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم، (مختصر مسلم ١٥٣٧).

**ومن الأسباب التي يحفظ الله بها الأبناء: صلاح الوالدين؛** لصلاح الوالدين عظيم الأثر في صلاح الأبناء، قد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما حدث مع نبي الله موسى والخضر عليهما السلام.

قال الله تعالى: «وَأَنَا الْبَرُّ كَانَ لِلَّذِينَ يَمِينُ فِي النَّبِيِّ وَكَانَ نَحْمَهُ كَثْرًا لَهَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَرْهًا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، (الكهف: ٨٢).

فانظر أيها الوالد الحبيب: كيف حفظ الله سبحانه وتعالى أموال الأيتام بصلاح الآباء؟ وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول لابنه: «لا زيدن في صلاتي من أجلك؛ رجاء أن أخفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا».

وقال ابن المنكدر: «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ الله وستره». فالولد الصالح ينفع الله به والديه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، (صحيح مسلم: ٦١٣١). وهو ينتفع بصلاح والديه.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآمَنَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُم بِإِيمَانٍ لِّقْنَا بِهِم ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، (الطور: ٢١).

فهؤلاء المذكورون يُلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها جزاء لأبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً.

واعلم أيها الوالد العطوف المحب لبنيته أن الله تعالى لن يجمع معك في الجنة إن كنت من أهلها - بإذن الله - إلا من صلح من بنيك.

قال الله تعالى: «جَنَّتٌ عَنْ دِخْوَتِهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَلَّغُوا كُفْرَهُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلِمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ، (الرعد: ٢٣، ٢٤)، ولن ينتفع بدعاء ملائكة السماء حملة العرش إلا من صلح منهم.

قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۚ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ رَحِمْنَا قَدْ رَحِمْنَا، (غافر: ٧-٩). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، ما من عبد يؤمن، ثم يسدذ إلا سلك به في الجنة، وأرجو ألا يدخلوها حتى تبوءوا أتمم ومن صلح من ذرياتكم مساكين في الجنة، ولقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، (صحيح الجامع ٧٠٦٢).

«رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِنْفَيْكَ إِيمَانًا، (الفرقان: ٧٤).

# القرآن تدبر ومنهج

« قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالطَّيِّبُ » (المائدة: ١٠٠)

أو أخلاقية. قال القرطبي رحمه الله بعد أن ذكر أقوال المفسرين: "والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة، وإن كثر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة. قال الله تعالى: « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَسُفَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدِيمًا » (الأعراف: ٥٨). [تفسير القرطبي: ٣٢٨/٦. والآية ليس المقصود منها مجرد الخبر بأن الطيب والخبيث لا يستويان فحسب، بل هي توجيه ومنهج للمؤمن لأن يختار الطيب على الخبيث، قال ابن عاشور: "ولما كان من المعلوم أن الخبيث لا يساوي الطيب، وأن البؤن بينهما بعيد، علم السامع من

د. عادل عزازي

قصصه ومواعظه. وسوف أذكر بعض هذه المناهج حسب ما يبسر الله عز وجل ويوفق.

فمن ذلك قوله تعالى: « قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ فَإِنَّمَا تَأْكُلُ مِنَ الْأَلْتِيبِ لَمَلِكُمْ تَذَلُّوْرَتِ » (المائدة: ١٠٠).

فهذا المنهج والميزان الذي جعله الله للمؤمن لتستقيم به حياته، وتعتدل به تصوراته واتجاهاته، وتسعد به أيامه في طمأنينة ورضا. فقد اشتملت الآية على عدة تنبيهات بها ميزان استقامة الحياة والفضور بالسعادة في الدارين.

التوجيه الأول: أن الطيب والخبيث لا يستويان أبداً؛ وهي قاعدة عامة في جميع المجالات؛ عقديّة أو تشريعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ويعد: فإن الله تعالى أمرنا بتدبر آياته فقال تعالى: « أَلَمْ يَتَذَكَّرْ أَلَمْ يَأْتِ عَلَى قُلُوبٍ أَقْبَلَهَا » (محمد: ٢٤). وقال تعالى: « كَيْفَ أَرْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَنزُورًا لِيُذَكَّرَ أَتَيْتُكَ بِتِلْكَ آيَاتِي لِيُذَكَّرَ أَلَمْ يَأْتِ عَلَى قُلُوبٍ أَقْبَلَهَا » (ص: ٢٩).

وقد بين القرآن للمؤمن مناهج السعادة في دنياه وآخرته بما لا يمكن أن يتحقق في غيره، فهو كتاب مجيد، والمجد: السؤدد والشرف والرفعة والعلو كما قال تعالى: « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْرَبُ » (الإسراء: ٩).

ومن خلال التدبر لكتاب الله عز وجل يمكن للمؤمن أن يقف على هذه المناهج الرفيعة سواء من أوامره ونواهيه، أو من أحكامه وشرائعه، أو من

هذا أن المقصود استئزال فهمه إلى تمييز الخبيث من الطيب في كل ما يلتبس فيه أحدهما بالأخر" [التحرير والتنوير: ٦٣/٧].

وورد في آيات أخرى عناية الله بنا في تشريعه وأحكامه، وأنها شريعة تعاطي الطيبات وترك الخبائث فقال تعالى:

﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَسَّاكِنُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَرْحَمَ الَّذِي يُحْدِثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٦-١٥٧).

فالطيب عند الله محبوب دائماً، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا يستوي الحلال والحرام، ولا يستوي حسن الخلق وسوء الخلق، ولا أي شيء طيب بشيء خبيث.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كُنُوزًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا مِمَّا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ زَيْنَابُ وَضُرِبَتْ اللَّهُ الْإِنْسَانُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثِلَتْ مِنْ تَوْرُقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦).

والكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك والكفر -والعباد بالله-.

عن ابن عباس في قوله: «مثلاً

كلمة طيبة، شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة، وهو المؤمن. أصلها ثابت، يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، وفزرعها في السماء، يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء. (تفسير ابن كثير: ٤/٤٩١).

فالطيب محبوب عند الله يرفع إليه قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)؛ ومأل الطيب وعاقبته دائماً إلى خير؛ فالخبيث لا يساوي الطيب مقداراً ولا إنصافاً، ولا مكاناً ولا ذهاباً، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار.

فيتميز الطيب من الناس في سكرات الموت ويوم القيامة؛ فالؤمن وهو في سكرات الموت يسمع خطاب ملك الموت لقبض روحه فيقول: «أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب! اخرجي إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان». فهل يستوي هذا مع النفس الخبيثة التي ينادي عليها ملك الموت لقبض الروح فيقول: «أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي إلى سخط من الله وغضب»، لا يستويون.

قال تعالى: ﴿أَمِنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَأَيْسَاءُ لَا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨).

وكما أنهم لا يستويون في الدنيا فهم لا يستويون في الآخرة؛ فإن

الله جعل الجنة للطيبين «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (النحل: ٣٢).

فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يجاوره في جنته إلا الطيبون، ولا يصعد إليه إلا الطيب من القول والعمل، وتثني عليهم الملائكة وهي تسلم عليهم «وَقَالَ لَهُمْ خِرَنُّهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيِّبًا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» (الزمر: ٧٣).

فالواجب على المؤمن أن يكون مجاهداً لنفسه مستمسكاً بالطيبات من الأقوال والأعمال والصفات، تاركاً وكارهاً كل خبيث؛ ففي الطيبات فلاحه، وفي الخبائث هلاكه.

التوجيه الثاني من الآية عدم الاغترار بكثرة الخبيث؛

وهذا التوجيه تصحيح لأخطاء يقع فيها كثير من الناس؛ حيث يقيسون الأمور بميزان الكثرة، وهو ما ينبغي أن يتجنبه المؤمن؛ فالميزان هو ميزان الحق، ولو كان أتباعه قلة. ومهما كثر أتباع الباطل فلا تكون كثرتهم دليلاً لصحة ما هم عليه، كما أنه لا يحمله كثرة المكاسب المحرمة أن يختارها على المكاسب الحلال. فلا يغتر المؤمن بكثرة الهلكى خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الخبائث في مجالات متعددة.

ففي مجال التوحيد كثر المنحرفون عن التوحيد الخالص من المتصوفة والقبوريين، والروافض

الشيعة الذين يعبدون القبور ويذبحون وينذرون لها.

وفي مجال الأخلاق والسلوك فآفات وطمات لا يعلمها إلا الله من نشر الرذائل والفجور والأقوال القبيحة، وشرب الخمر، والعلاقات المحرمة، والشذوذ، وسوء الأخلاق في معاملة الآباء والأمهات وسوء العشرة بين الأزواج.

وفي مجال المكاسب، فقد كثر أكل المال الحرام من التعاملات الربوية، كما كثر الرشاوي حتى لا تكاد ترى مصلحة إلا بالرشاوي، كما كثر الغش في المنتجات والبضائع، وكثر أكل الميراث وضاع حقوق كثير من الناس بالأيمان الفاجرة الكاذبة وشهادة الزور.

فعلى المؤمن أن يربأ بنفسه أن يكون مشاركاً أو راضياً بهذه المكاسب، وأن يرضى بالطيب ولو كان قليلاً عن الخبيث ولو كان كثيراً، فإن فيه البركة والخير والعاقبة المحمودة كما قال شعيب لقومه: **بَيَّتَ اللَّهُ حَبْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (هود: ٨٦).

ولذا وجب على المؤمن أن يلزم نفسه بشرع الله عز وجل ولا يغتر بكثرة الهلكى، ولا تطمح عينه إلى أكل المال الحرام.

التوجيه الثالث: الأمر بتقوى الله:

**وَاتَّقُوا اللَّهَ بِأُولَى الْأَنْتَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (المائدة: ١٠٠).

وهو توجيه مهم في معركة الاختيار مع دوافع النفس وسطوة الخبيث لكثرتة.

فربما سمح الإنسان لنفسه بأن يقتترف بعض الخبيث متجاهلاً أو متغافلاً لئنال بعض غرضه، خاصة إذا كان يلجئه لذلك دوافع النفس، وشدة الحاجة والمسؤولية، فيترخص في أكل الخبيث، وقد يتعلل على ذلك بفتوى شاذة زينت له أكل الباطل، أو ادعاء الضرورة، أو التباس واشتباه فلا يكلف نفسه البحث والتحري، أو غير ذلك ليبيح لنفسه أكل الحرام، فكان التوجيه من الله عز وجل بالأمر بالتقوى، فهي أكبر عامل على مراقبة الله عز وجل.

فقوله: **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَنْبَابِ**، مؤذن بأن الله يريد منا أعمال النظر في تمييز الخبيث من الطيب، والبحث عن الحقائق، وعدم الاغترار بالمظاهر الخلابة الكاذبة، فإن الأمر بالتقوى يستلزم الأمر بالنظر في تمييز الأفعال حتى يعرف ما هو تقوى دون غيره. (التحرير والتنوير: ٦٤/٧).

وختم الآية بأن من حقق ما ذكر في الآية نال الفلاح، فعلى المؤمن أن يرقى بنفسه ويتبع الحق الطيب ويترك الباطل الخبيث.

وأختتم مقالتي هذه بهذه الملاحظات:

أولاً: العبد لا ينال إلا ما كتبه الله له؛ فعليه أن يطلبه من طريق حلال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ تَفَتْ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ**

يَمُوتَ عَبْدٌ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِزْقَهُ، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِنْبَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوا شَيْئاً مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يِنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ». (رواه البزار وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح).

ثانياً: اعلم رحمك الله أن أكل الحرام مانع من قبول الدعاء كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ اللَّهُ طَيَّبَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:**

**«يَأَيُّهَا الرَّسُلُ كَلُّوا مِنْ أَلْطَيْتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ»** (المؤمنون: ٥١)، و**«يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُّوا مِنْ طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»** (البقرة: ١٧٢).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟

ثالثاً: في الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف. وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة. والعاقلة حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له يختار الطيب على الخبيث؛ فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الشرك من أهم أسباب هلاك  
الأمم السابقة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَبِئْتُمُو اللَّهَ وَأَحْسَبُوا الظُّلُمَاتِ فَمِنَّمْ

مَنْ قَدَىٰ اللَّهُ وَمِنَّمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(النحل/ ٣٦)

الْمُكذِّبِينَ

المحبة الواجبة للنبي  
صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: "والذي نفسي بيده لا  
يؤمن أحدكم حتى أكون أحبًّا  
إليه من والده وولده والناس  
أجمعين". [صحيح البخاري ١٥  
وصحيح مسلم: ٤٤].

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال: "إنكم ستفتحون  
مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا  
فتحتوها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة  
ورحمًا، أو قال ذمة وصهرًا، فإذا رأيت رجلين  
يختصمان فيها في موضع تبنة، فاخرج  
منها" (صحيح مسلم ٢٥٤٣).

من دلائل الشبهة

إخياره صنع نتج مصر

حكم ومواعظ

عن عبدالعزیز بن ابي  
رواد قال: "دخلت على  
المغيرة بن حكيم في مرضه  
الذي مات فيه فقلت:  
أوصني. فقال: اعمل لهذا  
المضجع" (المحتضرين  
لابن أبي الدنيا).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية:

فيا صغيبا كيف بغضى الآلهة .. أم كيف يجحدوه الجاحد؟  
ولله في كل تحريك .. علينا وتسكينه شاهد  
وبه كل شيء له آية .. تدل على أنه واحد

ربيع آخر ١٤٤٢ هـ - العدد ٥٩٢

الستة الخمسون

36

## إعداد : علاء خضر

### أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إن الله خلق آدم من طينة الجابية،  
وعجنه بماء من ماء الجنة).  
موضوع. أخرجه ابن عدي في  
"الكامل"، والصحيح أن رسول الله  
أنه قال: "إن الله خلق آدم من قبضة  
قبضها من جميع الأرض" (السلسلة  
الضعيفة للألباني)

### من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك رضي الله  
عنه قال: كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم رحيماً، وكان  
لا يأتيه أحد إلا وعدّه، وأنجز  
له إن كان عنده" (السلسلة  
الصحيحة ٢٠٩٤).

### من معاني الأحاديث

قال صلى الله عليه وسلم: "إن التجار يبعثون  
يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق"،  
سماهم فجّاراً لما في البيع والشراء من الأيمان  
الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه  
أكثرهم، ولا يظنون له، ولهذا قال في تمامه: "إلا  
من اتقى الله وبرّ وصدق".  
(النهاية لابن الأثير)

### من جوامع الأدعية

عن ابن عباس رضي الله  
عنهما أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم، كان يقول:  
"اللهم لك أسلمت، وبك أمنت،  
وعليك توكلت، وإليك أنفت،  
وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ  
بِعزّتِكَ، لا إله إلا أنت، إن  
تضلّني، أنت الجي الذي لا  
يموت، والجن والإنس يموتون".  
(صحيح مسلم ٢٧١٧).

### من فضائل الصحابة: كانوا قدوة لمن بعدهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال: "أرحم أمتي بأمتي، أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله، عمر، وأصدقهم  
حياءً، عثمان، وأقروهم لكتاب الله، أبي بن كعب، وأفرضهم، زيد بن  
ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام، معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً،  
وإن أمين هذه الأمة، أبو عبيدة بن الجراح" (سنن الترمذي ٣٧٩١).

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:  
فما يزال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وقد انتهت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، وبدأت في أدلة السنة، ووصلت إلى الحديث الثاني عشر، وهو حديث أمنا عائشة رضي الله عنها، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسماء: "يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه" (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

ورأينا من القرائن حول الحديث، وجود خمس علل في إسناده. وأن الكثير من أهل العلم على تضعيفه، وهناك من قوى الحديث بطرقه كالألباني والبيهقي الذي ضعف إسناده، ثم قواه بمراسيل الصحابة، وقال البيهقي عن حديث أمنا عائشة رضي الله عنها: فصار القول بذلك قوياً، ووافقه الذهبي في تهذيب سنن البيهقي، وذكر ابن كثير نقولاً عن الصحابة في "الإمامة" ما ظهر منها "الوجه والكفين، فقال: وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه وعلق عليه ونقل كلام أبي داود وأبي حاتم الرازي من أن الحديث مرسل (انظر جلاب المرأة المسلمة ص ٥٨-٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٢، تفسير ابن كثير ٤٥/٦-٤٦).

هناك ثلاث مسائل في حديث عائشة رضي الله عنها أشير إليها سريعاً لأهميتها.  
المسألة الأولى: هل يتقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه؟

هذه المسألة في غاية الأهمية، فليست كل الطرق تقوى الحديث الضعيف؛ فالطرق شديدة الضعف وإن تعددت فلا يتقوى بها الحديث، وإنما يتقوى الحديث بالطرق التي فيها ضعف يسير. يقول الشيخ أحمد شاكر: "إن الحديث إن كان ضعيفاً؛ لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع فإنه لا يرقى إلى الحسن، بل يزداد ضعفاً إلى ضعف". ويقول الشيخ الألباني عن تقوية الحديث بطرق متعددة: "ولكن هذا ليس على إطلاقه، بل هو

## أثر السياق في فهم النص

(١٢٨)

## حجاب المرأة

## المسلمة

(٣٨)

إصدار د. متولى البراجيلي





مقيد عند المحققين منهم بما إذا كان ضعف رواته في مختلف طرقه ناشئاً من سوء حفظهم، لا من تهمة في صدقهم، أو دينهم، وإلا فإنه لا يتقوى مهما كثرت طرقه، وهذا ما نقله المحقق المناوي في (فيض القدير) عن العلماء (انظر شرح الأضية الحديث أحمد شاكر ص ١٦، تمام المنة للألباني ص ٣١-٣٢).

المسألة الثانية: هل حديث أمنا عائشة رضي الله عنها - الذي نحن بصدده - من النوع الذي يتقوى بكثرة طرقه وشواهد، أم لا يتقوى؟

حديث أبي داود في سنده خمس علل - كما سبق - فلا يستدل به، وحديث البيهقي، قال عنه بعد إخراج له: إسناده ضعيف والهيتمي قال في المجمع رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لهيعة. وقال الألباني: "وعلمته ابن لهيعة.. والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن. وهذا منها. قلت: والبحث في ابن لهيعة يطول (انظر تفصيل القول فيه في كتابي معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث ١٩٩-٢٢٢). وخلاصته أن حديثه لا يطرح بالكلية، ويُنظر إلى من سمع منه ابن لهيعة.

- أثر قتادة (أخرجه أبو داود في المراسيل ح ٤٣٧، وسنده إلى قتادة صحيح لكنه مرسل.

المسألة الثالثة: هل يحتاج بالحديث المرسل؟

هذه أيضاً من المسائل الطويلة في المصطلح وفي أصول الفقه، وقد احتج به بعض أهل العلم بشروط وضوابط وطرحه الآخرون. ومراسيل قتادة ضعيفة عند أهل العلم. قال الألباني: عدم الاحتجاج بمرسل قتادة ليس موضع خلاف، وإنما هل يتقوى بالمسند الضعيف أم لا؟ هذا هو الموضوع، فنحن نرى تبعاً للبيهقي وغيره أنه يتقوى. فنحن لم نحتج بمرسل قتادة، وإنما به وبما انضم إليه من الشواهد (انظر الرد المضمح: ١/٨٥-٩٢).

المسألة الرابعة: هل دخل النسخ على حديث أمنا عائشة رضي الله عنها؟

أورد العلماء مسألة أخرى على حديث أمنا عائشة وشواهد، أن هذا الحديث إن صح - فهو من قبيل المنسوخ (انظر ثلاث رسائل في الحجاب لابن عثيمين ص ٤٥، الصارم المشهور ص ١١٥

للتويجري).

وهذه مسألة أخرى طويلة، والأصل عدم النسخ حتى يأتي الدليل. فالنسخ لا يُقال بالرأي أو الاستدلال فقط. (انظر كتابي: قرآن السياق وأثرها على الأحكام الفقهية ص ٤٧٢-٤٨٠).

### الحديث الثالث عشر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد: فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكانني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقه. حتى أتى النساء مع بلال..... ثم تلا آيات المبايعة... ثم قال حين فرغ (من الآية): أذنت على ذلك؟ فقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي (الحسن بن مسلم أحد رواة الحديث)، قال: فتصدقن، وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفئخ (الخواتيم العظام، وقد تلبس في أصابع الرجلين) والخواتيم في ثوب بلال (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري: ".. فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفن..".

وفي رواية للحديث عند مسلم عن جابر رضي الله عنه: ".. فقامت امرأة من سطة النساء (من أوساطهن حسباً ونسباً) سفعاء الخدين (فيها تغير وسواد). فقالت: لم يارسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة (الشكوى).

القرائن حول الحديث:

١- قول ابن عباس رضي الله عنهما: فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه.. فهل كن كاشفات الأيدي. كما قال ابن حزم: فهذا ابن عباس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أيديهن. فصح أن اليد من المرأة والوجه ليسا بعورة، وما عداهما ففرض عليها ستره (انظر المحلى ٢/٢٤٨).

ويرد على قول ابن حزم أن قول ابن عباس يهوين بأيديهن، لا يلزم منه أنهن كاشفات الأيدي، فارتداء القفازين لا يمنع من إطلاق اليدين عليهما. ومن ناحية أخرى فإنه يتسامح في اليدين عند المناولة وامساک الأشياء ما لا يتسامح في الوجه. أو كن يكشفن أيديهن للضرورة لينزعن

الحوائيم من أصابعهن.

٢- قول جابر رضي الله عنه: "فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين". يدل وصف جابر رضي الله عنه للمرأة على أنها كانت مكشوفة الوجه، وإلا لما استطاع أن يصف خديها، وهذا استدلال به الألباني على جواز إظهار الوجه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على كشف وجهها أمام الرجال (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٧٦).

وأجيب عن وصف جابر رضي الله عنه للمرأة باحتمالات:

١- أن تكون هذه المرأة من القواعد من النساء، فيجوز لها كشف وجهها.

٢- أن تكون هذه الواقعة قبل نزول آية الحجاب، على اعتبار أن صلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة، وآية الحجاب في سورة الأحزاب التي كانت في سنة خمس أوست من الهجرة (انظر قول ابن عثيمين والسندي في ثلاث رسائل للحجاب ص ٤٧، ص ٩٣).

٣- أن المرأة كانت تغطي وجهها وانحسر الغطاء عن وجهها بغير قصد منها.

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرها.

٥- تزدد جابر رضي الله عنه بوصف وجه المرأة دون من روى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رواها ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم (انظر قول التويجيري في الصارم المشهور ص ١١٧-١١٨).

٦- صغر سن ابن عباس وبلال كان عبداً رضي الله عنهما، فلا حرج عليهما في رؤية وجه المرأة.

ويرد على هذه الاحتمالات:

١- إثبات أن هذه المرأة من القواعد من النساء، فمن هي هذه المرأة؟ يقول الحافظ ابن حجر أنه لم يقف على اسمها، لكنه يختلج في خاطره أنها أسماء بنت يزيد بن السكن (خطبة النساء). ورجح ذلك بأن أسماء روت أصل هذه القصة في حديث أخرجه البيهقي والطبراني وغيرهما، وأيضاً بما أخرجه الطبراني عن أم سلمة الأنصارية أن أسماء كانت في النسوة اللاتي أخذ عليهن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ما أخذ.... (انظر فتح الباري ٢/٤٦٨).

قلت: فإن كانت هي أسماء بنت يزيد -على ما ذكره الحافظ ابن حجر-؛ فهي لم تكن وقتها من القواعد من النساء، فلقد شهدت موقعة اليرموك وقتلت فيها تسعة من الروم، وعاشت بعد ذلك دهرًا (انظر الإصابة لابن حجر ٨/٢١-٢٢)، وإن لم تكن المرأة هي أسماء فيبقى القول بأنها من القواعد مجرد احتمال غير ثابت.

٢- وقوع هذه القصة قبل نزول آيات الحجاب؛ وهذا يحتاج إلى معرفة تاريخ خطبة النبي صلى الله عليه وسلم. ذهب الألباني إلى أن هذه القصة كانت بعد نزول آية الحجاب، واستدل بحديثين: الأول حديث أم عطية رضي الله عنها لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالخروج إلى صلاة العيد. فقالت أم عطية: إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها. الحديث الثاني: عن أم عطية رضي الله عنها أيضاً لما بايع عمر رضي الله عنه النساء بأية مبايعة النساء من سورة الممتحنة. وأن سورة الممتحنة نزلت يوم الفتح بعد آية الحجاب. وذكر المسور بن مخزوم (والحديث في البخاري) أن آية الامتحان نزلت في يوم الحديبية وكان ذلك سنة ست على الصحيح، وآية الحجاب نزلت سنة ثلاث، وقيل خمس (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٧٤-٧٦).

وما ذهب إليه الشيخ الألباني يرد عليه إيرادات: الاستدلال بخروج المرأة بالجلباب لصلاة العيد وأن هذا كان بعد نزول الأمر بإدناء الجلابيب (آية الحجاب)؛ فهل كانت المرأة لا تخرج بالجلباب قبل نزول الآية، أم أن الجلباب كان معروفاً لدى نساء العرب عند خروجهن. ثم جاءت الآية بأمرهن بإدناء الجلباب عند الخروج، فقد قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب (شاعرة جاهلية) ترثي أخاها:

**تمشي النساء إليه وهي لاهية**

**مشي العذارى عليهن الجلابيب**

(انظر لسان العرب ١/٢٧٢، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص ٩٩)، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

**إنا لله وإنا إليه راجعون**

توفي إلى رحمة الله تعالى: الشيخ عوض السيد الرساوي، رئيس فرع السرو، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

# مَهْمَا كُنْتَ لِأَعْبَا فَلَا تَلْعَبْ بِدِينِكَ

د . عماد محمد علي عيسى



المنش بوزارة الأوقاف

«أَمَلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعُكَ بَيْتَكَ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ» رواه الترمذي: (٢٤٠٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. اهـ.

الأول: وهي امتلاك اللسان وكفه عما لا ينفع. والثاني: لزوم المرء بيته فيقلل من مخالطته للناس. والثالث: يكاؤه على خطاياها، وتدممه على ذنوبه، وتجديده للتوبة، وتصحيحه للعهد الذي بينه وبين الله صاحب النعمة عليه.

هذه هي الأصول الثلاثة المعتبرة عند الفهماء، والقواعد المبني عليها أمر النجاة عند العلماء. فمن أخذ بقدر صالح منها ونصيب، فقد أصاب الغرض بسهم مُصِيب.

وهي مجموعة في حديث واحد، ومسوقة في مساق جواب عن سؤال المحتاج المفاقد، وهذا الحديث في شأن النجاة يصدق فيه قول القائل:

الحمد لله حقَّ حمده وصلَّى الله على نبيِّنا مُحَمَّد رسوله وعبيده وعلى آله وصحبه وأوليائه من بعده.

وبعد: فقد أصبحت سوق السعاية في أيامنا كاسدة، وصار أكثر الناس من يُغْنِ حَقًّا وأقلهم من يُحْرُزُ غَنَمًا، وباتت أحوال المسلمين لا تقوم على أساس، ولا تَتَمَشَّى مع عقل ولا قياس، وقد أُضرب الجمهور عن ذكرها مع وضوح فسادها، وهذا من الجهل الصميم المنال للشرع القويم والعقل السليم.

## أسن النجاة:

من أخذ بها أسعفته وأغاثته، وكانت سببًا في نجاته وخلاصه من الفتن والمحن: إذ إن التمسك بها يلحق المقصر بالمشمِّر والمتأخِّر بالمتقدِّم. وإذا كان لكل شيء أساس، ولكل أساس بناء، فأساس بناء النجاة ثلاثة أمور جمعها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه، فعن عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النِّجَاةُ؟ قَالَ:

شفي وكفى ما في النفوس فلم يدع  
لذي إزنية في القول جدا ولا هزلا

لأنه قصد إلى عين الحجة بتقليل  
اللفظ، وهذا من بديع البلاغة  
النبوية صلى الله وسلم على  
صاحبها الذي أوتي جوامع الكلم.  
ورحم الله خالد بن صفوان -أحد  
البلغاء- حين قال:

خير الكلام ما ظرفت معانيه،  
وشرفت مبانيه، والتذت به أذان  
سامعيه.

نعم، يمثل هذا الكلام يعلق القلب  
به وتهش الروح لسماعه، وتهتز  
النفوس طربا به لأنه جمع السلامة  
والنجاة في ثلاثة أمور، هي من السهل

الممتنع، فهي سهلة في الظاهر لكن تحقيقها في  
الواقع أمر صعب وشاق، وربما يظن الناس أن  
هذه الأسباب الثلاثة يسيرة، لكن في الحقيقة  
ربما سهل الشيء وانقاد من جهة القول، لكنه  
عز وإعتاص من جهة الفعل.

**لا تظننَّ المجد تمرا أنت آكله**

**لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر**

هذه الثلاث معالم الحياة، وطوق النجاة فإن  
أخذها المسلم بحققها وقام بأمرها فقد أفلح. ومن  
تجاوزها ولم يلتفت إليها خاب وخسر.

حرص السلف الأوائل على النجاة:

كانت النجاة والحصول عليها والوصول إليها  
غاية النهاية عند سلفنا الصالح رضي الله  
عنهم، إذ كان القوم على الجادة المستقيمة  
والمحجة البيضاء القويمية؛ فلم يغيروا ولم  
يبدلوا، ولم يزيدوا ولم ينقصوا، بحيث كانوا  
يخطون بخطور رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ويمشون بمشيه حذو القذة بالقذة، أي: غلو  
ولا جفاء، وبلا تفاوت ولا تماوت "القذذ: ريش  
السهم، واحدها: قذذة أي: كما تقدر كل واحدة  
منهما على قدر صاحبته وتقطع، يضرب مثلا  
للشبيين يستويان ولا يتفاوتان" (النهاية:  
٢٨/٤).

لقد كان يزعجهم الأرق والقلق، ويحثهم على  
المسير خوف الغرق، ويحدوهم إلى الله تعالى

الشوق والحرق، فيمشون -كما فعل  
يوشع بن نون فتى موسى عليهما  
السلام- على الشط، غير مبال  
بمن انتقص ولا بمن حط، ولا  
ملتفت إلى من تحلف أو سقط  
وانحط، فيلغوا بهذا الايمان  
المنزل، وحطوا على هذا الوجه  
الرحل في المعقل، دون أن يجدوا  
في ذلك نصبا، ولا أن يخطووا في  
طلبه سببا.

ويسبب هذا السعي المبارك  
الجليل، والقصد النافع النبيل،  
سار الأسلاف على الجد الصرف  
ومضوا على هذا الحق المحض،  
حتى وصلوا إلى قمة الرحط

الراجح، وحصلوا على السعي الراجح، وأسسوا لمن  
بعدهم كل أمر ناجح، فطوبى لمن سار بسيرهم  
واهتدى بهديهم حتى رسخت له في منزلة  
النجاة أقدام، ونجا من مزلّة أقدام، وصح له  
من الأجر والثواب أفضل الأقسام وصدق الله  
حيث قال فيهم: «**وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا  
عَنْهُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ تجري تحتها الأنهار خالدين  
فيها أبداً ذلك الفوز العظيم**» (التوبة: ١٠٠).

ولئن كانت الموانع لا تحصى ولا تنحصر،  
والآفات لا تنضبط ولا تقتصر، فإن من عاش  
حياة السلف الأوائل أدرك من أسباب النجاة  
جملة صالحة، وحصلت له بذلك صفقة رابحة،  
فهل من مذكر أم على قلوب أقبالها؟

فاجعل هؤلاء القوم أصلك وفصلك، كما كان  
يفعل خالد بن معدان العالم الزاهد، قال الوليد  
بن مسلم، عن عبدة بنت خالد بن معدان: قل ما  
كان خالد يأوي إلى فراش مقيله إلا وهو يذكر  
شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى  
أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يسميهم  
ويقول: هم أصلي وفصلي، واليهم يحن قلبي،  
طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك، حتى  
يغلبه النوم وهو في بعض ذلك. (تهذيب الكمال:

١٧١/٨).

وصدق القائل:

“**أقبل على ربك واسلك  
سبيله ذللا، وأدمن  
الطرق فإنه سيفتح  
لك، فربك كريم لطيف  
بعباده ويعب التوايين،  
فانين التائبين أحب إليه  
من رجل المسبحين.**”

## طيبُ الصُّرُوعِ مِنَ الْأَصُولِ وَلَمْ يُزْ فَرَعَ يَطِيبُ وَأَصْلُهُ الرُّقُومُ

وقد تقعد الهمة ببعض الناس ويقول: أين التراب من السحاب، وما نحن في جنب القوم، ومن نكون إلى جوارهم؟

والجواب: صحيح أن بين الجيل الحاضر وبين القوم من الجيل الأول الغابر مفاوز وأشواطاً بعيدة، فإن ما بين القوم وبين أجيالنا كما بين الدر والصدف، وما بين المسك والحيض، غير أن من سار على الدرب وصل، وأن من جد وجد، والأعمال بالنيات فكم من قتيل

بين الصفيين الله أعلم بنيته ورب ميت على الفراش يسبق إلى الله تعالى بصدقه، وصلاح نيته، وسلامة طويته، وخلوص قصده، وحسن عهده، فعن سهل بن حنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» (رواه مسلم: ١٩٠٩).

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طلب الشهادة صادقاً، أعطيتها، ولو لم تصبه» (رواه مسلم: ١٩٠٨). فاستعن بالله بعنك، وسله بجيبك، واستوهب ربك همة عليه، وعزيمة فتية بمددك كما قال القائل:

### هانزم يديك بحبل الله مُقتصماً

هأنه الركن إن خانتك أركان

مهما كنت لاعباً فلا تلعب بدينك:

إن طالب النجاة لا يلعب بدينه، ولا يضحى بإيمانه، ولا يترك العمل الصالح من أجل أحد من الناس كأننا من كان. وقد كانت وصية أسلافنا التي بالغوا فيها ووصوا بها كل ذي عقل راجح ولب ناصح، أنهم قالوا: مهما كنت لاعباً بشيء فلا تلعب بدينك.

وسبب ذكر هذه الوصية الغالية أن الساعي في طلب الآخرة لا يتماشى حاله مع اللعب بالدين، ولا يتفق مع تضييع الأوقات فيما

لا يفيد، ولا تتناسب مع إفاءة الأعمار فيما لا ينفع.

بل إن المجد في شأن الوصول إلى الجنة أمنا تجده أحفظ الناس لدينه، وأحرص الناس على وقته، وأكثر الناس سعياً في العمل الصالح، وأقومهم قبلاً وأهداهم طريقاً، حاله كما وصف القائل:

رأيت عرابية الأوسى يسمو

إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية زفعت لمجد

تلقأها عرابية باليمين

فأذ ما عليك، وصل ما بينك

وبين الله تعالى بصالحات

الأعمال وكثرة الاستغفار والذكر وتجديد التوبة وصقل الإيمان والأوية وتحوب من الآثام وتوقها قدر ما تستطيع والله معك، ولن يترك عملك كما قال تعالى: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» (طه: ١٢).

ما أب من أب لم يظفر ببغيته

ولم يعب طالب بالنجح لم يخب

واقبل على ربك واسلك سبيله ذللاً، وأدمن الطرق فإنه سيفتح لك. فربك كريم لطيف بعباده ويحب التوابين، فأنين التائبين أحب إليه من زجل المسيحين، وإن زددت فلا تياس.

فإن زددت فما بالرد منقصة

عليك قد زد موسى قبل والخضر

ولا تعجل على فتح الباب، فيستخوذ عليك الشيطان ويقنطك من رحمة ربك، ولا تسي ظنك بربك، فإن ذلك خيال فاسد، وخيال كاسد من الشيطان، يريد به الشيطان أن يحدث الفجوة بينك وبين ربك، فاحذر من هذه الأكدار، وخل قلبك من تلك الأغيار، واطرح أحوال الجهال فإنها مشوشة، ومغيرة ومكدرة، فهذا أجدي عليك وأحمد لعواقب الأمور إن شاء الله تعالى. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# الأشواك الجارحة في حقنا الإسلامي المعاصر

د. عبد الوارث عثمان



أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

”

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛  
فإن علمانية الغرب كانت واجبة عندهم؛ لأنها حيدت ديننا يقول: "أَغْمَضْ عَيْنَكَ  
وَأْمَنْ"، وعلمانية الأعراب في أمتنا اليوم باطلة؛ لأنها تريد تحييد دين أول ما نزل  
منه: (اقرأ)، فهل علم الناس ما العلق يوم نزلت سورة العلق؟ فمن صور العلمانية  
عند الأعراب: تحييد كثير من الأحكام الشرعية الصريحة الموافقة لمقاصد  
الشريعة من أن تكون حاكمة مهيمنة بأحكام شرعية ضعيفة أو شاذة توافق  
الأهواء، وتتماشى مع الأفكار الغربية الحديثة المنظمة لحياة الفرد والمجتمع  
في العالم الغربي، شاهد ذلك التنظيم الأسري والمالي والجنائي في بلاد الإسلام.  
مع أن الأصل في الإسلام أن يكون ظاهراً على غيره في بلاد الإسلام ممكناً له، لا  
يزاحمه غيره مزاحمة الند للند، وهذا مع احترام ما لغيره من حق في حدود ما  
أقرته الشريعة الإسلامية.



بما كان عند المسلمين من سلام تام بين الدين والعلم، وبدأت تظهر الصراعات وأنواع الاضطهاد بين الكنيسة وأهل العلم وطلابه، ولم يكن لهذه الحركة العلمية الناشئة لتستسلم لأملاءات الكنيسة الكابحة.

من جهة التشريع لم يكن للكنيسة تشريع يجاوز طبيعتها الرهبانية الروحية لتسد به حاجات الناس الجديدة خاصة بعد تشوفهم لما كان عليه المسلمون من فقه يشمل كل جوانب حياتهم دقيقها وجليلها يستمد من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسنة النبي المجتبي صلى الله عليه وسلم، عيشة جماهيرية لا طبقية فيها، والمسجد يجمعهم دون فوارق، والقضاء يحكم بينهم كذلك، خلأفا لما كان يعيше الأوروبيون من طبقية واستغلال واستعباد. فأنى للكنيسة أن تستجيب لتطلعاتهم نحو تنظيم حياتهم بتشريعات تريحهم وترفع عنهم العناء والظلم الذي سئموا من ويلات، فاكشف الأوروبيون أن الذي يقف في وجه تقدمهم علمياً وتنظيمياً في الحياة

## “ المذاهب الفكرية والفلسفية المستوردة من بلاد الغرب وغيرها تقرر عندنا مبتورة عن سياقها التاريخي غالباً، سواء من دارسيها أو ناقدتها أو المتبنين لها المدافعين عنها. ”

اكتشف عامة الأوروبيين واقعهم المرير الذي كانوا يعيشون فيه بمقارنته بما كان يعيسه المسلمون من علم مبدول وحث عليه وتشريع سابغ لكل مرافق حياتهم وعمرانهم، ومعرفة بالصنائع والاعتناء بمحاسن العيش، مما أوقع لديهم صدمة عادوا بأثارها إلى بلادهم، حاملين أمل تغيير أحوالهم بناءً على ما رأوه.

ولما كانت الكنيسة تقوم على التسليم بمقولات رجالها والإيمان بها كما هي، دون استناد إلى علم أو عقل، فإنها كانت تحذ من كل طموح نحو العلم، بل وتحاربه وتعتبره زندقة غير مقبولة، فاصطدمت إرادتها بالإرادة الجديدة التي بدأت تنتشر عند الأوروبيين، بعد أن تأثروا

ويبدولي أن المذاهب الفكرية والفلسفية المستوردة من بلاد الغرب وغيرها تقرر عندنا مبتورة عن سياقها التاريخي غالباً، سواء من دارسيها أو ناقدتها أو المتبنين لها المدافعين عنها، وهكذا يستمر الأمر عند المناضلين من أجل تحقيقها. وهذا يضسر شيئاً من غرور بعض الذين يعيشون في أوطاننا الإسلامية بمذاهب أوطان غيرنا دون محاولة تمحيصها ودراسة جدواها وملاءمتها، فضلاً عن النظر في صحتها. والعلمانية أو اللاتكية ذات المنشأ الغربي أو الأوروبي في إطارها التاريخي الذي وجدت فيه كانت حلاً لرجأ إليه منتحلوها لإشكالات واقعهم الثقالي والاجتماعي والسياسي.

والخلاصة: أن أوروبا كانت تعيش ظلاماً حقيقياً من كل النواحي؛ جهل وتخلف، وظلم اجتماعي، وطغيان سياسي، وغير ذلك، وكانت الكنيسة محور ذلك الوضع التعيس، واتصلت أوروبا بالعالم الإسلامي وحضارته من طريقين؛ مجاورتها للأندلس غرباً، ومناسبة الحروب الصليبية التي دعت إليها الكنيسة شرقاً، ومن خلال المكوث في بلاد المسلمين في المشرق

السياسية والاجتماعية هي الكنيسة التي تعرقل مسارهم وأنه لا بد من إيجاد حل لذلك بعد تباين ردود الأفعال بين كافر بالكنيسة جاحد بها متمرد عليها وبين حريص على تقاليده النصرانية باحثاً عن جامع بينها وبين تلبية طموحه في العلم والتقدم والازدهار.

وبعد صراع مرير وصل الأوروبيون إلى حل ازدواجي اصطالحوا عليه هو اللاتينية أو العلمانية، تكون فيهم عقيدتهم وتقاليدهم النصرانية حبيسة الكنيسة لا يصطحبونها معهم خارجها إلا في ضمايرهم لا تتعداها، لتكون شؤون حياتهم حرة بين أيديهم، يقررون فيها بما يحكم به العلم، وطبقاً لرغباتهم. ويشرعون لأنفسهم ما يرونه مناسباً لسياستهم واجتماعهم غير ملتفتين للكنيسة قامعين لرجالهم. فاللاتينية الغربية ما هي إلا نظام يفصل بين الكنيسة كرمز لدينهم وممارساته والتسليم بمقولاته، وبين الحياة العامة التي توطنها الدولة بعيداً عن الكنيسة وتكون الحرية فيها للشعب في ممارسة حياته تحت مسؤوليتها لا مسؤولية الكنيسة؛ أي فصل الكنيسة

“

## تميز الإسلام بتشريعاته الساوية المحكمة الحكيمة التي تنظم كل شؤون الدين والحياة.

”

أنه يمكن تطبيق العلمانية في بلادنا لجهله بالإسلام أو تأويله تأويلاً لا نرضاه، لا يمكنه فرض ما يراه على غيره من المسلمين إلا بالقوة فلم نر شعباً مسلماً اختار العلمانية طواعية، والواقع يشهد على ذلك، وله أن يجذب الدعوة إلى فكرته والترويج لها بالحجة والبرهان ما دام ملتزماً بنبذ طرق العنف والإكراه والتعسف؛ فإذا وصل إلى مراده في يوم من الأيام -وفى اعتقادنا لن يصل أبداً- فعندئذ لا يكون الشعب أهلاً لإسلامه؛ والعياذ بالله. ويقف إلى جوار هؤلاء بعض فقهاء الفقه في دينهم الإسلام، الذي هو أعظم دين يتسابقون في إظهار إسفافهم وتدينهم عن مستواه تمر على الواحد منهم حالات التعاسة والظلم والقذارة الأخلاقية؛ فلا يتحرك له ساكن ولا يرف له جفن، ثم يرى ما دون ذلك فيرغي ويزيد ملحقاً جنونه ذلك بالإسلام العظيم، وكأن الإسلام لم يأت لرفع التعاسة والظلم عن الناس مهما كانوا. وكان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لم يأت متمماً لمكارم الأخلاق، تراه منهكاً بالبطالة الجسدية والعطالة العقلية. لكنه

عن الدولة أو فصل الدين عن السياسة. فيظهر مما سبق أن تعميم العلمانية الغربية على بقية العالم ممكن عندما يكون الدين مسلمات لا تستند إلى العلم. ولا تنسجم معه كحال الديانات الوضعية المنتشرة في العالم سوى الإسلام الذي هو الدين عند الله، يقول الله تعالى: **(إِنَّ أَوْلَىٰ بِالذِّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)** (سورة آل عمران: ١٩).

وعندما يكون الدين فقيراً في مجال التشريع الذي ينظم الحياة. وهذا لا يسلم منه دين من الأديان الوضعية سوى الإسلام؛ فقد تميز بتشريعاته السماوية المحكمة الحكيمة التي تنظم كل شؤون الدين والحياة. يبقى أن الذي لا يسلم بما ذكرناه ويعتقد



ينشط للتشفي واطهار  
الشماتة في إخوانه في  
الدين، ويتمنى دمارهم  
ليخلو له وجه المناصب  
والمراتب، وينال من الثناء  
والمدح ما يكون ثمنه هو  
تعطيل الشريعة وبث  
الفرقة بين المسلمين،  
وايقاف سير الدعوة إلى الله  
تعالى، وتنفير الناس من  
الإقبال على الله ورسوله.  
إن قلة الضقه في الدين  
واختلال الموازين التي  
تتشوف إليها العقول  
السليمة ويرتقي إلى  
مقامها أصحاب المروءات  
لا تؤهل صاحبها للكلام  
عن الإسلام وتأويل  
أحكامه لتبرير ضلالات  
أصحاب الأهواء والغوايات  
والمصالح الدنيوية.. إنهم  
الأشواك الجارحة في  
حقلنا الإسلامي التي تغلق  
الطريق أمام سير القافلة  
الإسلامية التي تشهد  
تقدماً سريعاً واسعاً مذهباً  
في أوروبا، وهو ما دفع  
بعض المنظمات والهيئات  
والمؤسسات والحكام في  
أوروبا للتحذير من المد  
الإسلامي اللافت للنظر  
في الأونة الأخيرة؛ رغم  
حملات التشويه المتعمد  
والمتهج للإسلام في الإعلام  
الغربي، بل والعربي المضلل  
الذي يقتضي شطحات  
العقول الغربية في كل

“  
واياكم أن تظنوا أن  
حملات الطعن في الإسلام  
وأحكامه وأعلامه  
والتطاول على النبي  
محمد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم خير البرية  
سيوقف انتشار الإسلام  
في الغرب أو الشرق، بل  
سيزيده قوة، ويجعله  
أكثر انتشاراً.”

مجال: أملاً في إيقاف المد  
الإسلامي في أوروبا بالحجة  
والبيان لا بالسيف  
والسنان.  
ويقظة الضمير المسلم لدى  
العديد من الفئات في العالم  
الإسلامي وهو ما يدفع  
أصحاب العداة القديم  
والحقد الدفين على  
الإسلام وأهله إلى الإساءة  
والتطاول على النبي الكريم  
سيد الأولين والآخرين.  
وهي طريقة قديمة يتوهم  
أصحابها أنهم بذلك  
ينالون من رسالة الإسلام  
الخالدة وحاملها صلى الله  
عليه وسلم. ولكن هيئات  
ثم هيئات فقد ذاق النبي  
صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه الغزاليامين فادح  
الأذى وعظيم البلاء على  
يد صناديد الكفر وأئمة  
الضلال؛ فكان النبي -صلى

الله عليه وسلم- وأصحابه  
-رضي الله عنهم- أكثر  
ثباتاً على دين التوحيد  
وأشد نشاطاً إلى الدعوة  
إليه، وأقبل الناس من كل  
حذب وصوب يدخلون في  
دين الله أفواجا يطلبون  
رضا الله ثم الفوز بالجنة.  
واياكم أن تظنوا أن حملات  
الطعن في الإسلام وأحكامه  
وأعلامه والتطاول على  
النبي محمد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم خير  
البرية سيوقف انتشار  
الإسلام في الغرب أو الشرق،  
بل سيزيده قوة، ويجعله  
أكثر انتشاراً، ولكن علينا  
عقد العزم على إعلان  
النفير العام لعرض حقائق  
الإسلام عرضاً جاداً يزيل  
ما ران على قلوب وعقول  
البشرية الغربية وغيرهم  
من المنتمين إلى الإسلام  
شكلياً بحكم الوراثة  
والجغرافيا من صدأ وتب  
على قلوبهم وعقولهم  
نتيجة التقولات الكاذبة  
والتخرصات الباطلة  
والأضاليل الممقوتة حول  
الإسلام ومصادره، ونتيجة  
التقصير في تبليغ الدعوة  
الإسلامية بعد أن شغلنا  
مصاعب الحياة وعراقيل  
الواقع المؤلم الذي تعيشه  
الأمّة الإسلامية اليوم.  
والله المستعان.

# أخبار العالم الإسلامي



## شيخ الأزهر: محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم

مؤسف ومؤلم، لكن من المؤسف أشد الأسف ومن المؤلم غاية الألم أيضا أن نرى الإساءة للإسلام والمسلمين في عالمنا اليوم وقد أصبحت أداة لِحشد الأصوات والمضاربة بها في أسواق الانتخابات. وهذه الرسوم المسيئة لتبنينا العظيم والتي تتبناها بعض الصحف والمجلات، بل بعض السياسات هي عبث وتهريج وانفلات من كل قيود المسؤولية والالتزام الخلقى والعرف الدولي والقانون العام، وهو عداء صريح لهذا الدين الحنيف، ولتنبئه الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

واننا ومن موقع الأزهر الشريف ندعو المجتمع الدولي لإقرار تشريع عالمي يجرم معاداة المسلمين والتفرقة بينهم وبين غيرهم في الحقوق والواجبات والاحترام الكامل المتبادل. كما أننا ندعو المواطنين المسلمين في الدول الغربية إلى الاندماج الإيجابي الواعي في هذه المجتمعات، والذي يحفظ عليهم هوياتهم الدينية والثقافية، ويحول دون انجرارهم وراء استفزازات اليمين المتطرف، والعنصرية الكريهة.

هذا واني لأعجب العجب كله أن توقد نار الفتنة والكراهية والإساءة في أقطار طالما تغنت بأنها مهد الثقافة وحاضنة الحضارة والتنوير والعلم والحداثة وحقوق الإنسان، ثم تضطرب في يديها المعايير اضطرابا واسعا، حتى بتنا نراها وهي تمسك بإحدى يديها مشكاة الحرية وحقوق الإنسان، بينما تمسك باليد الأخرى دعوة الكراهية ومشاعل النيران.

أيها المسلمون! لا تبتئسوا مما حدث ومما سيحدث أيضا، فقد تعرض نبيكم في حياته وبعد رحيله لما هو أشد من ذلك مما كان يقابله بالصفح والإحسان والدعاء للجاهلين به بالهداية.. وكان يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون..

في إطار الحملة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والتي أثارها تصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي تعهد "بعدم التخلي عن رسوم كاريكاتور" تجسد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الرئيس الفرنسي قد أعلن، في مراسم تأبين المدرس الذي قتله تلميذ مسلم بقطع الرأس على خلفية عرضه على تلاميذه رسوما كاريكاتورية تجسد النبي محمد خلال حصة حول حرية التعبير، أن القتل "كان يجسد الجمهورية"، وأكد أن بلاده لن تتخلى "عن رسوم الكاريكاتور".

تزايدت الدعوات لمقاطعة البضائع الفرنسية في الشرق الأوسط، كما نددت المنظمات الإسلامية الخطاب السياسي الرسمي الصادر عن بعض المسؤولين الفرنسيين الذي يسيء للعلاقات الفرنسية الإسلامية، ويغذي مشاعر الكراهية من أجل مكاسب سياسية حزبية.

وقد ألقى د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر، كلمة في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بسط فيها القول في فضائل النبي ووجوب محبته واتباع هديه ثم تطرق إلى تلك الأمواج العاتية من الكراهية والحقد والتي تنحدر بقوة صوب الإسلام بغية هدم بنيانه وزعزعة أركانه، لكن الله عز وجل حافظ دينه وتمم أمره ولو كره الكافرون، حيث جاء فيها ما يلي.

واعلموا أيها الإخوة أن محبته فرض عين على كل مسلم من أمته، فمن كان أبوه أو ابنه أو عائلته أو ماله أحب إليه من الله ومن رسول الله فعليه أن ينتظر ما سيحل به عاجلا وأجلا، ثم هو من الفاسقين، إن العالم الإسلامي ومؤسساته الدينية وفي مقدمتها: الأزهر الشريف قد سارع إلى إدانة حادث القتل البغيض للمدرس الفرنسي في باريس، وهو حادث

## تنامي القلق العالمي بشأن السياسة الصينية تجاه أقلية الإيغور المسلمة

يبحث الإيغور عن حقهم في الاستقلال والحياة كما يريدون لكن تحل عليهم لعنة ثروة إقليمهم الباطنية التي لن تتخلى عنها الصين في سياق صعودها كقوة اقتصادية عظمى، وبعد ١٣٠٠ عام من دخولهم الإسلام كما خرج من جزيرة العرب يبدو أن خيارهم الوحيد هو دخول في الإسلام كما تريده الصين بعيدا جدا عن عالم إسلامي مليء بالفوضى والصراعات.

وفي هذا الصدد قال الممثل الدائم لألمانيا لدى الأمم المتحدة كريستوف هيوسغن: إن البيان المشترك مؤثر واضح على تنامي القلق العالمي بشأن السياسة الصينية تجاه أقلية الإيغور المسلمة. وفقا لم نشره الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة على الإنترنت.

وعلى الرغم من أن الإيغور يتبعون الدين الإسلامي، لكنهم يخضعون بحسب تقرير هيومن رايتس ووتش، للوائح وتعليمات، أشد من تلك المفروضة على غيرهم من المسلمين في الصين. ويشتكى الإيغور من قيود شديدة يفرضها الحزب الشيوعي الصيني، مثل حظر الصوم لأعضاء الحزب، والموظفين الحكوميين، والمدرسين، والطلاب أثناء رمضان، فضلا عن الحظر القسري على ذهاب الأطفال للمساجد، وإطلاق الشباب لحاهم، وتم حظر ارتداء الحجاب على نساء "الإيغور" في الأماكن العامة بالصين، بما في ذلك المواصلات العامة، واحتفالات الزواج، وفرضت غرامة مقدارها ٣٥٣ دولار على ارتداء الحجاب في الأماكن العامة. ومنع تسمية الأولاد ببعض الأسماء الإسلامية وغيرها.

## بدء المرحلة الثانية من العمرة والزيارة بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية

بدأت وزارة الحج والعمرة، بالتعاون مع الجهات المعنية، في المملكة العربية السعودية، تنفيذ المرحلة الثانية من العودة التدريجية لأداء العمرة والزيارة، حيث شرعت في استقبال المعتمرين من المواطنين والمقيمين من داخل المملكة على أن تستقبل المصلين فجر الأحد ١ ربيع الأول ١٤٤٢هـ الموافق ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠م.

وتتيح المرحلة الثانية الحصول على أربعة أنواع من التصاريح وهي أداء مناسك العمرة والصلاة في الروضة الشريفة وفي المسجد النبوي والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهم، مع اتخاذ الإجراءات الاحترازية الصحية اللازمة، واستجابة لتطلع كثير من المسلمين في الداخل والخارج لأداء مناسك العمرة والزيارة.

وبحسب الخطة التنفيذية التي وضعت من قبل الجهات الحكومية فستشهد المرحلة الثانية لعودة العمرة والزيارة لأعداد أكبر من المرحلة الأولى تصل إلى ١٥ ألف معتمر و ٤٠ ألف مصل في اليوم الواحد كحد أقصى، حيث سيسمح للمواطنين والمقيمين بأداء مناسك العمرة، بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية التي تراعي الإجراءات الاحترازية الصحية للمسجد الحرام، وسيخصص لكل فوج ٣ ساعات فقط لإتمام مناسك العمرة، كما سيسمح لهم بالصلاة في الروضة الشريفة وفي المسجد النبوي والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، بنسبة ٧٥٪ من الطاقة الاستيعابية التي تراعي الإجراءات الاحترازية الصحية للروضة الشريفة في المسجد النبوي.



## محرمات استئمان بها العروسان

الحجرة، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي أعزك فنصرتك، وأقر عينيك وأكرمك، قالت: فلم يكلمني! وعرفت في وجهه الغضب، ودخل البيت مسرعاً، وأخذ النمط بيده فجبذه (أي جذبته) حتى هتكه ثم قال: (أتسترين الجدار بستر فيه تصاوير؟! إن الله لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارة والطين). قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً فلم يعب ذلك عليّ إقالت: فكان صلى الله عليه وسلم يرتفق عليهما. تعني: يتكى عليهما. مسلم ١٥٨/٦.

قال الخطابي: العُرض هو الخشبة المعترضة يسقف بها البيت ثم يوضع عليها أطراف الخشب الصغار، يقال: عرضت

إصدار **د. جمال عبد الرحمن**

**ما يجب على الزوج اجتنابه بعد عقد نكاحه**

فإذا انتقل الخاطب من مرحلة عقد نكاحه إلى مرحلة التجهيز ليوم البناء والدخول بزوجته، فعليه أن يجتنب أموراً ويحذرهما.

**أولاً: ستر الجدران بالسجاد**

مما ينبغي اجتنابه: ستر الجدر بالسجاد ونحوه؛ لأنه سرف وزينة غير مشروعة لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غائباً في غزاة غزاها، فلما تحيَّنت قضوله، أخذت نمطاً (نوع من البسط) [فيه صورة كانت لي فسترت به على العُرض، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيته في

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة الوسط التي بعثها الله تعالى ميسرة ولم يبعثها معسرة. والصلاة والسلام على نبينا محمد هادينا بإذن ربه وشفيعنا في الآخرة. وبعد؛ فإن شرع الله تعالى في الزواج أقرب إلى السهولة واليسر، وبركة الله تعالى وتيسيره جعل لمن خاف الله واتقاه، وقد قال جل وعلا: **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** (الطلاق: ٤).

وتقوى الله جل وعلا تعني: اجتناب ما حرم الله، وفعل ما أمر الله طاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا فقه العروسان هذا المعنى وعملا به كان ذلك توفيقاً من الله لهما.

البيت تعريضا. قال أبو داود:....  
قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة فلم ينعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام؛ ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي على الباب أن يقطع فتصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطنان، ومر بالكلب فليخرج، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا الكلب لحسن أو حسين عليهما السلام. [معالم السنن (٢٠٧/٤)].

ولذلك قطعت عائشة رضي الله عنها الستر بما فيه من تصاوير وتماثيل وجعلتهما وسادتين.

قال النووي رحمه الله: وقد صرحت في الروايات المذكورات بعد هذه بأن هذا النمط كان فيه صور الخيل ذوات الأجنحة وأنه كان فيه صورة فيستدل به لتغيير المنكر باليد وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر وأنه يجوز اتخاذ الوسائد والله أعلم، وأما قوله صلى الله عليه وسلم حين جذب النمط وأزاله (إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين) فاستدلوا به على أنه يمنع من ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم؛ هذا هو الصحيح. وقال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي من أصحابنا هو حرام. وليس في هذا الحديث ما يقتضي تحريمه

لأن حقيقة اللفظ أن الله تعالى لم يأمرنا بذلك، وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب ولا يقتضي التحريم والله أعلم).  
شرح النووي على مسلم (١٤/٨٧).

وقال ابن حجر رحمه الله:  
حكّم ستر البيوت والجدران فبي جوازه اختلاف قديم وحزم جمهور الشافعية بالكراهة وصرح الشيخ أبو نصر المقدسي منهم بالتحريم واحتج بحديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين وجذب الستر حتى هتكه وأخرجه مسلم. قال البيهقي: هذه اللفظة تدل على كراهة ستر الجدار وإن كان في بعض أفاض الحديث أن المنع كان بسبب الصورة، وقال غيره: ليس في السياق ما يدل على التحريم وإنما فيه نفي الأمر لذلك، ونفي الأمر لا يستلزم نبوت النهي، لكن يمكن أن يحتج بفعله صلى الله عليه وسلم في هتكه. [فتح الباري لابن حجر (٩/٢٥٠)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله:  
قوله: "لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين" دليل على كراهية ستر الجدار كما يفعله كثير من العوام في الأعراس. [كشف المشكل من حديث الصحيحين مسند عائشة (٤/٢٥٥)].

وعليه فالأمر عند أهل العلم يتردد بين الكراهية والتحريم، ومن أجل ذلك كان بعض السلف يمتنع من دخول البيوت المستورة جدرها،

قال سالم بن عبد الله:  
أعرست في عهد أبي، فأذن أبي الناس، وكان أبو أيوب فيمن أذنا، وقد ستروا بيتي بنجاد (ما يزين به البيت من البسط والوسائد والفرش) أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرأني قائما، واطلع فرأى البيت مستترا بنجاد أخضر، فقال: يا عبد الله أنتسترون الجدر؟ قال أبي. واستحيا: غلبنا النساء أبا أيوب! فقال: من كنت أخشى عليه أن تغلبه النساء فلم أكن أخشى عليك أن تغلبك، ثم قال: لا أطعم لكم طعاما، ولا أدخل لكم بيتا. ثم خرج رحمه الله. الطبراني (١/١٩٢).

وفي حالة تغيير هذه الستر فيمكن شقها نصفين إن كان بها صور ذوات أرواح فتستخدم في أي متاع آخر.

قال ابن الجوزي رحمه الله:  
وإنما جاز أن تجعل وسادة لأنها تبتذل، وكذلك لو فرشت، بخلاف ما إذا علقت فإن فيها تعظيما لها. كشف المشكل من حديث الصحيحين مسند عائشة (٤/٢٥٥).

### ثانيا: نص الحواجب:

كذلك مما يجب على الزوجة اجتنابه على العموم وبالأحرى قبيل دخولها بيت الزوجية يوم عرسها: نتف الحواجب ونمصها وترقيقها وتغيير خلق الله تعالى فيها. وهو ما تفعله بعض النسوة من نتفن حواجهن حتى تكون كالقوس أو الهلال. يفعلن ذلك تجملا بزعمهن! وهذا مما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن فاعله بقوله صلى

الله عليه وسلم. وفي الحديث المرفوع أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله). فاما الوشم فهو غرز الكف أو الذراع بالإبرة، ثم يحشى بكحل أو نحوه مما يخضره، فالفاعلة واشمة، والتي تطلب أن يفعل بها ذلك مستوشمة. والنامصة: التي تنتف الشعر من الوجه. والمتنمصة: هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك، وهو مأخوذ من المنماص، وهو المنقاش، وبعض قراءة الحديث تقول: المنتمصة بتقديم النون. والذي ضبطناه عن أسياننا في كتاب أبي عبيد بتقديم التاء مع التشديد. والمتفلجات: هن اللواتي يتكلفن تفریح ما بين الثنايا والرياعيات بصناعة، والفلج في الأسنان: تباعد ما بين ذلك. وظاهر هذا الحديث أن الكلام مطلق في حق كل من فعل هذا. وقول ابن مسعود يدل على ذلك. ويحتمل أن يراد به المتصنعات من النساء للفضور، لأن مثل هذا التحسن دأبهن. ويحتمل أن يراد بهن المموهات على الرجال بمثل هذه الأفعال لتغر المتزوج. كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ٢٧٣). قلت: ويشمل أيضا من تفعله لعرسها ولزوجها.

### ثالثا، مخالفة سنن الفطرة كإطالة

الأظفار وحلق اللحية وغير ذلك؛

وللنساء في ذلك مخالقات وللرجال كذلك، ومنها ما يشترك فيه الرجال والنساء، وخاصة في الأعراس والأفراح.

هذه العادات القبيحة التي تسربت من الغرب إلى المجتمع المسلم للنساء والرجال. فللنساء، كتدميمهن لأظفارهن بالصمغ الأحمر المعروف اليوم بـ (مينكير) وإطالتهن لبعضها، فإن هذا مع ما فيه من تغيير لخلق الله المستلزم لعن فاعله كما سيأتي في حديث أنس رضي الله عنه، ومن التشبه بالكافرات المنهي عنه في أحاديث كثيرة التي منها قوله صلى الله عليه وسلم: «... ومن تشبه بقوم فهو منهم»، رواه أبو داود وأحمد؛ فإنه أيضا مخالف للفطرة (فطرت الله) (الروم، ٣٠). وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الضطرة (أي السنة) خمس: الاختتان، والاستحداد، (وفي رواية: حلق العانة)، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، وتنف الأبط».

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وأما حديث أنس المذكور في الكتاب (وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار وتنف الأبط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة) فمعناه لا يترك تركا يتجاوز به أربعين. والله أعلم. وأما تقليم الأظفار فسنة ليس بواجب... أما تنف الأبط فسنة بالاتفاق والأفضل فيه التنف لمن قوي عليه ويحصل أيضا بالحلق وبالنوزة، ويستحب أن يبدأ بالأبط الأيمن، وأما قص الشارب فسنة أيضا، وأما حد ما يقصه فالمختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله، وأما روايات أحضوا

الشوارب" فمعناها: أحضوا ما طال على الشفتين والله أعلم، وأما إغصاء اللحية فمعناه توفيرها وهو معنى أوقوا اللحى في الرواية الأخرى، وكان من عادة الفرس قص اللحية فنهى الشرع عن ذلك. وقد ذكر العلماء في اللحية عشر خصال مكروهة بعضها أشد قبحا من بعض؛ أحداها: خضابها بالسواد إلا لغرض الجهاد. الثانية: خضابها بالصفرة تشبيها بالصالحين لا لتباعد السنة، الثالثة: تبييضها بالكبريت أو غيره استعجالا للشيوخة لأجل الرياسة والتعظيم وإيهام أنه من المشايخ. الرابعة: تنفها أو حلقها أول طلوعها إثارا للمروءة وحسن الصورة. الخامسة: تنف الشيب. السادسة: تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعها ليستحسنه النساء وغيرهن. السابعة: الزيادة فيها والنقص منها بالزيادة في شعر العذار من الصدغين أو أخذ بعض العذار في حلق الرأس وتنف جانبي العنقفة وغير ذلك. الثامنة: تسريحها تصنعاً لأجل الناس. التاسعة: تركها شعنة ملبدة إظهاراً للزهادة وقلة المبالاة بنفسه. العاشرة: النظر إلى سوادها وبياضها إعجاباً وخيلاء وغرة بالشباب وفخراً بالشيب وتطاولاً على الشباب. الحادية عشر: عقدها وضرها. الثانية عشر: حلقها إلا إذا ثبت للمرأة لحية فيستحب لها حلقها. والله أعلم. شرح النووي على مسلم (١٤٩/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله.



## قصة مفتراة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع النصراني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:  
نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التحريج والتحقيق:

كما في هدي النبي صلى الله عليه وسلم، تربية وسلوكاً واعتقاداً  
٤- ومن أهم الأسباب أن لجنة التطوير في هامش الكتاب (ص ٢٩) أنها نقلت هذه القصة من «البداية والنهاية» (٥/٨)، ولم تذكر غير هذه العبارة.  
قلت: وكتاب «البداية والنهاية» مصنفه الإمام الحافظ المحدث ابن كثير والطبعة التي ذكرت فيها هذه القصة بهذا الرقم، هي طبعة: دار إحياء التراث

### إعداد: علي حشيش

وتجديد الخطاب الديني.  
٣- لو كان هذا الكتاب ألفه شخص للعامّة، ما كان يهمنا بيان ما فيه من واهيات، أما أن يكون منهجاً تربوياً علمياً للألاف من أبنائنا وأحفادنا في هذه المرحلة من التعليم فلا بد من البيان لأهمية هذه المرحلة من العمر: حيث يكون الطالب فيها بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة، وهو السن الذي ينشأ عليه ناشئ الفتيان

### أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إن الأزهر الشريف- حفظه الله من الواهيات والمنكرات- جعل هذه القصة من مقررات الصف الثالث الإعدادي؛ حيث يدرس على طلاب هذه المرحلة في كتاب «الثقافة الإسلامية» (ص ٢٩) هذا العام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١م).  
٢- هذا الكتاب- كما هو مبين من غلافه- أعدته لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف، استجابة لتطوير

العربي ببيروت، وبالرجوع إليها لمراجعة النص المنقول في كتاب «الثقافة الإسلامية» وجدت أن النص حدث فيه بتر وتدليس.

البترا الأول: في السند، فقد بتر الجزء الأول من السند الذي ذكره الحافظ ابن كثير، وهذا خطير لا يعرف مدى خطره إلا من هذا الشأن صناعته، فالإمام الحافظ ابن كثير ذكر هذا الجزء من السند، حيث تتركز به العلة التي تستبين بها حقيقة هذه القصة الباطلة فتبراً بعهدته، ولذلك أخرج الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» عن الإمام ابن المبارك قال: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

البترا الثاني: في المتن، وذلك بحذف الجزء الخاص بالمرفوع وهو الكلام المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة، لأن فيه إخراجاً شديداً لهم، ولو علموا أن القصة من أولها إلى آخرها بموقفها ومرفوعها باطلة لما ذكروها ولا وقعوا في حرج هذا البترا.

#### ثانياً: مقارنة لبيان هذا البترا:

١- سنذكر أولاً: نص القصة في كتاب «الثقافة الإسلامية» المقرر على الصف الثالث الإعداد بالمعاهد الأزهرية بمصر هذا العام (٢٠٢٠-٢٠٢١م) هذا النص كما أشاروا في هامش الكتاب أنه منقول من كتاب «البداية والنهاية» (٥/٨).

٢- ثم نذكر ثانياً: نص القصة في كتاب «البداية والنهاية»، ونقارن بينهما ليتبين البترا والتدليس

في النص سنداً ومتناً.

٣- نص القصة في كتاب «الثقافة الإسلامية» (ص ٢٩): «حدث لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينما وجد درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح القاضي يخاصم النصراني.

قال علي رضي الله عنه: يا شريح، هذا الدرع درعي، ولم أبع، ولم أهب.

قال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت شريح إلى أمير المؤمنين قائلاً: يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟

فضحك علي رضي الله عنه، وقال: أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، فأخذها النصراني ومشى خطوات، ثم رجع، فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يخاصمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، فقال: أما إذ أسلمت فهي لك. اهـ. ثم أشاروا في الهامش إلى أن هذا النص من «البداية والنهاية» (٥/٨).

٤- نص القصة في كتاب «البداية والنهاية»:

قال الإمام الحافظ المحدث ابن كثير في كتابه «البداية

والنهاية» (٥/٨) (ط دار إحياء التراث العربي ببيروت): وقال عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه.

قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح، وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كُنتم وإياهم في طريق فأضطروهم إلى مضايقه، وضغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطغوا ".

ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب.

فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خطى ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين.

فقال: أما إذ أسلمت فهي لك.

قلت: بالمقارنة بين النصين يتبين البترا والتدليس في السند والمتن:



أ- وذلك بحذف جزء من السند والذي أظهره الحافظ ابن كثير وتتركز به العلة لتبراً عهدته، حيث يستبين بها بطلان القصة، كما سنبين من التحقيق.

ب- حذف أكثر من أربعين كلمة من المتن منها جزء موقوف على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجزء مرفوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم توهموا أن فيه إخراجاً شديداً فبتروه ظناً منهم أن القصة صحيحة، بينما هي تالفة مكذوبة؛ كما سنبينه الصناعة الحديثية.

### ثالثاً: التصريح:

هذه القصة التي أوردها المحدث الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في كتابه «البداية والنهاية» (٥/٨) أخرجها الإمام الحافظ البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في «السنن الكبرى» (١٣٦/١٠). وأخرجها الحافظ ابن عساکر المتوفى سنة (٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق» (٤٨٧/٤٢) عن جابر الجعفي، عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه درعه عند رجل نصراني... القصة.

فائدة: لفظ القصة في البداية والنهاية، هو لفظ ابن عساکر في «تاريخ دمشق».

### رابعاً: التحقيق:

هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به موضوع، والموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه،

وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقروناً ببيان وضعه.. اهـ كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١)، والخبر به علل مركبة تبرهن على أنه موضوع:

العلة الأولى: عمرو بن شمر:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٧٥/٢): «عمرو بن شمر الجعفي كنيته أبو عبد الله يروي عن جابر الجعفي كان رافضياً يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممن يروي الموضوعات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب، وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: عمرو بن شمر ليس بثقة، لا يكتب حديثه.. اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٤٦): «عمرو بن شمر كذاب زائف.. اهـ.

٣- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٥٨٣/٢٤٤/٦): «عمرو بن شمر منكر الحديث.. اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص ٨٩): «قول البخاري: منكر الحديث، فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه.. اهـ.

٤- نقل الحافظ ابن حجر في

«اللسان» (٤٢٣/٤): «أن الحاكم أبو عبد الله قال: كان عمرو بن شمر كثير الموضوعات عن جابر الجعفي، وليس يروي تلك الموضوعات الفاحشة عن جابر غيره.. اهـ.

العلة الثانية: جابر الجعفي:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٨/١): «جابر بن يزيد الجعفي من أهل الكوفة يروي عن الشعبي، كان سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إن علياً يرجع إلى الدنيا.. ثم أخرج بسنده عن زائدة بن قدامة الكوفي قال: «جابر الجعفي كان والله كذاباً يؤمن بالرجعة.. اهـ.

٢- وقال الإمام الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٠): «جابر بن يزيد الجعفي كذاب سألت عنه ابن حنبل؟ فقال: تركه ابن مهدي فاستراح.. اهـ.

٣- وقال الإمام النسائي في «المتروكين» (٩٨): «جابر بن يزيد الجعفي: متروك».

### الخلاصة:

القصة واهية، والخبر الذي جاءت به القصة: موضوع بالكذابين والوضاعين والمتروكين الزانغين من الشيعة الروافض. فأثبت العرش ثم انقش: فإن سماحة الإسلام في معاملة النصراني متواترة تواتراً عملياً على مر العصور، يغني عن هذه القصص الغريبة المكذوبة. هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

# درر البحار

## في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٩٩)

علي حشيش



اهـ. قلت: وعمرو بن حفص هذا هو علة الحديث، وهو ليس بثقة متروك تركوا حديثه وحرقوه كما بينا آنفاً. وعلي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف. قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٧/٢).

٨٨٩- علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ..

لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (٧٠٢ح)، قال شيخنا- يعني ابن حجر- ومن قبله الدميري والزرکشي: «إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر».

٨٩٠- الحجامه في الرأس هي المغيثة أمرني بها

جبريل حين أكلت طعام اليهودية ..

الحديث لا يصح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢١٨/١) باب «حجامه رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال: «أخبرنا عمر بن حفص عن أبان عن أنس مرفوعاً، وعلته عمر بن حفص العبدي ليس بثقة، متروك كما بينا آنفاً، وعلة أخرى أبان- وهو ابن أبي عياش- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣١/١): «متروك» اهـ.

٢٩١- إن العالم يُعذب عذاباً يطيف به أهل

النار استعظماً لشدة عذابه ..

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٥٩/١) مرفوعاً بصيغة الجزم وقال: «أراد به العالم الفاجر» اهـ. قالوا: «أثبت العرش ثم انقش»: فقد قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده بهذا اللفظ» اهـ.

٨٨٧- يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ

من أذانه ..

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٤٦/١) مرفوعاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد ضعيف» اهـ. قلت: لكي نقف على درجة هذا الضعف لا بد من الوقوف على علة هذا الحديث، فالحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٠٨ح) قال: «حدثنا أحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو الربيع، قال: حدثنا عمرو بن حفص العبدي، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك مرفوعاً، والحديث غريب حيث قال الطبراني: ثم يرو هذا الحديث عن ثابت إلا عمر بن حفص» اهـ. قلت: وهو علة هذا الحديث، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٠٧٥/١٨٩/٣): «عمر بن حفص أبو حفص العبدي، قال أحمد: تركنا حديثه وخرقناه، وقال علي: ليس بثقة، وقال النسائي: متروك» اهـ. ونقله ابن حجر في «اللسان» (٤٤٣/٤)، وأقره وذكر أن أحمد قال: «تركنا حديثه وخرقناه» اهـ.

٨٨٨- من أسبغ الوضوء في البرد الشديد كان له

من الأجر كفلان ..

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٦٢ح) عن أبي حفص العبدي، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن علي بن زيد إلا أبو حفص واسمه عمرو بن حفص».

ربيع آخر ١٤٤٢ هـ - العدد ٥٩٢

السنة الخمسون



56



الحلقة (٧٣)

## قرائن اللغة والنقل

### والعقل على حمل

### صفات الله (الخبرية)

### و(الفعلية) على

### ظواهرها دون المجاز

معتقد أهل السنة في توحيد الصفات  
تابع؛ جولة مع ابن قدامة في  
مناظرته الأشاعرة لإثبات صفة  
الكلام على حقيقتها، وأنه بحرف  
وصوت لا يشبه حروف وأصوات  
المخلوقين

أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله  
وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:  
فيأتي ضمن ما نافع به ابن قدامة عن معتقد  
السلف في صفة الكلام؛ ثناؤه على الإمام  
أحمد وغيره ممن ثبتوا من أهل السنة في  
(فتنة خلق القرآن)، وردّه شبهة أهل زمانه في  
اغترارهم بكثرة القائلين بقصر صفة الكلام  
على النفسي منها وانكار الحرف والصوت.

أ- ابن قدامة يثني على من ثبت في فتنة خلق القرآن،

ويتابع دحض شبهات مخالفين من الأشاعرة؛

يقول -رحمه الله-: "وما وقعت الفتنة،  
وظهرت المعتزلة ودعوا إلى القول بخلق  
القرآن، ثبت أهل الحق حتى قتل بعضهم  
وحبس بعضهم وضرب بعضهم، فمنهم من  
ضعف فأجاب تقيّة وخوفاً على نفسه، ومنهم  
من قوي إيمانه وبذل نفسه لله، واحتسب ما  
يصيبه في جنب الله ولم يزل على السنة، إلى  
أن كشف الله تلك الفتنة وأزال تلك المحنة  
وقمع أهل البدعة.

وكان أهل السنة قد اتفقوا على: أن القرآن  
كلام الله غير مخلوق، ولم يكن القرآن الذي  
دعوا إلى القول بخلقه، سوى هذه السور التي  
سماها الله قرآناً عربياً، وأنزلها على رسوله  
عليه السلام، ولم يقع الخلاف في غيرها  
البتة.

وعند متأخري الأشاعرة: أنها مخلوقة.  
فقولهم قول المعتزلة لا محالة. إلا أنهم  
يريدون التلبيس فيقولون في الظاهر قولاً  
يوافق أهل الحق ثم يفسرونه بقول المعتزلة..  
فمن ذلك أنهم يقولون: (القرآن مقروء متلو  
محفوظ مكتوب مسموع)، ثم يقولون:  
(القرآن في نفس الباري قائم به، ليس هو سوراً  
ولا آيات ولا حروفاً ولا كلمات)، فكيف يتصور  
إذا قراءته وسماعه وكتابته.. ويقولون: (إن  
موسى سمع كلام الله من الله)، ثم يقولون:

(ليس بصوت).. ويقولون:  
(إن القرآن مكتوب في  
المصاحف)، ثم يقولون:  
(ليس فيها إلا الحبر  
والورق): فإن كانت كما  
زعموا فلم لا يمسخها إلا  
المطهرون -وما رأينا المحدث  
يُمنع من مس حبر ولا  
ورق-؟! ولم تجب الكفارة  
على الحائف بالمصحف إذا  
حنث؟!.

ومن قال: (إنه ليس في  
المصحف إلا الحبر والورق):  
لزمه التسوية بين المصحف  
وبين ديوان الشعر، لأنه إذا  
لم يكن بين كل واحد منهما  
غير الحبر والورق فقد  
تساويا، فيجب تساويهما في  
الحكم.

هذا: مع ردهم على الله وعلى  
رسوله، وخرقهم لإجماع  
الأمّة، فإنه تعالى قال:  
(فَلَا أَقْسُدُ بِمَوْعِدِ الْمُتَّوِّعِ  
عَظِيمًا ﴿٧٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ لَأَنْ تَكْفُرُونَ  
عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ  
﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مُكْتَبٍ مَّا كُنْتُمْ  
بِمَسْئَلِ إِلَّا أَنْ تَعْلَمُونَهُ ﴿٧٨﴾ تَنْزِيلٌ  
مِّن رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
(الواقعة/ ٧٥: ٨٠). فأقسم تعالى أنه  
قرآن كريم في كتاب مكنون.  
فردوا عليه وقالوا: (ما في  
الكتاب إلا الحبر والورق).  
وقال تعالى في رد ذلك: (مَلَّا  
مُرُورًا نَجِيدًا ﴿٧٩﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ)  
(البروج/ ٢١: ٢٢)، وقال:  
(وَالْقُرْآنَ ﴿٨٠﴾ وَكِتَابٍ مُّكْتَبٍ ﴿٨١﴾

فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) (الطور/ ١: ٣).  
وقال صلى الله عليه وسلم  
كما في صحيح مسلم: "لا  
تسافروا بالقرآن إلى أرض  
العدو؛ فإنني لا أمن أن يناله  
العدو"، يريد المصاحف التي  
فيها القرآن، واتفق المسلمون  
كلهم على تعظيم المصحف  
وتبجيله، وتحريم مسه  
على المحدث، وأن من حلف  
به فحنث فعليه الكفارة،  
ولا تجب الكفارة بالحلف  
بمخلوق.

وذكر بعض المبتدعة أنه  
إنما وجبت الكفارة على  
الحائف لاعتقاد العامة  
-دون العلماء- أن فيه كلام  
الله؛ وهذه غفلة منه فإن  
هذا الحكم من لدن النبي  
ولم يتجدد الآن؛ فإن أقر  
أن عامة أهل عصر النبي  
وصحابته كانوا يعتقدون  
أن فيه كلام الله وأقرهم  
عليه صلى الله عليه وسلم  
وصوبهم فيه، فهو الحق  
الذي لا شك فيه ولا يحل  
خلافه، وإن قال: (إنهم  
كانوا يعتقدون ذلك ولم  
يعلم بهم عليه السلام)،  
فكيف علم هو؟ وكيف  
علم هو من أحوال أصحاب  
رسول الله ومن اعتقاداتهم  
ما يخفى على الرسول وهو  
بين أظهرهم، وعنه يأخذون  
والبه يرجعون، وبه يقتدون  
وعنه يصدرون؟ ثم هل

كانوا مُصيبين في اعتقادهم  
أو مخطئين؟؛ فإن كانوا  
مخطئين فقد اعتقد هذا  
البعض أن أصحاب رسول  
الله كانوا ضاللاً ومن  
بعدهم، وأنه هو أصاب  
بمخالفتهم!.

وكيف يجوز أن يكون  
أصحاب رسول الله اتفقوا  
على اعتقاد الخطأ والضلال  
والباطل، وأخطأوا الحق  
وتبعهم من بعدهم على  
ذلك، إلى أن جاء هذا  
الجاهل بزعمه فعرف  
الصواب وعرف خطأ من  
كان قبله؟؛ ثم هذا إقرار  
بأن مقالته بدعة حادثة،  
خالف بها أصحاب رسول  
الله والتابعين بعدهم، وهو  
الذي يقوله عنهم وبدعته  
فيهم.

وإن زعم أن أهل عصر النبي  
عليه السلام لم يكونوا  
يعتقدون هذا وإنما حدث  
بعدهم، فلم ثبت هذا  
الحكم في عصرهم؟؛ ولم  
وجبت الكفارة على الحائف  
بالورق والحبر، ولا خلاف  
بين المسلمين أنه لا تجب  
كفارة بالحلف بورق ولا  
حبر ولا مخلوق؟!؛ ثم متى  
حدث هذا الاعتقاد؟؛ وفي  
أي عصر، وما علمنا الحادث  
إلا قولهم الخبيث المخالف  
للأمّة، وللكتاب والسنة؟!  
ثم كيف يحل أن يوهموا

العامّة ما يَقْوَى به اعتقادهم الذي يزعمون أنه بدعة، من تعظيمهم للمصاحف في الظاهر واحترامها عند الناس، وربما قاموا عند مجيئها وقبّلوها ووضعوها على رؤوسهم ليوهموا الناس أنهم يعتقدون فيها القرآن، وربما أمروا من توجّبت عليه يمين في الحكم بالحلف بالمصحف إيهاماً له أن الذي يحلف به هو القرآن العظيم والكتاب الكريم، وهذا عندهم اعتقاد باطل!؟

وكيف يحلّ لهم أن يتظاهروا به ويضمروا خلافه؛ وهذا هو النفاق في عهد رسول الله وهو الزندقة اليوم، وهو أن يظهر موافقة المسلمين في اعتقادهم ويضمروا خلاف ذلك؛ وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة، كونهم؛ يظهرن تعظيم المصاحف إيهاماً أن فيها القرآن ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلا الورق والمداد.. ويظهرون تعظيم القرآن ويجتمعون لقراءته في المحافل والأعزّية، ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته.. ويظهرون أن موسى سمع كلام الله

من الله ثم يقولون ليس بصوت!؟

**ب- ابن قدامة يعيب ما نعيه على أشاعة زماننا من اغترار بالكثرة وسعة الانتشار على ما عليهم من باطل**

يقول رحمه الله: "ومن العجب أن أهل البدع يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم، ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم، فيجعلون ما جعله النبي دليل الحق وعلامة السنة دليلاً على الباطل" .. وفي ردّ ذلك يقول: "إن النبي أخبرنا أن في آخر الزمان تكثر البدع وتموت السنن، ويغرب الدين، وأنه يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وأنه يقل أهل الحق إلا أنه مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وأنه يعظم ثوابهم ويكثر أجرهم، وشبه عليه السلام الدين في آخره بأول ابتدائه في غربته وقله أهله، فقال فيما أخرجه مسلم وغيره: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)، ثم جمع بينهم في أن لهم طوبى فقال: (فظوبى للغرباء).

كما أخبر عليه السلام بقلة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم، وظهور أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم بكثرة أموالهم وأولادهم وضعف أهل الحق، فقد قال قوم نوح له: (وَمَا رَبُّكَ اتَّعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّبِّ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبًا) (هود/ ٢٧)، وقال قوم صالح فيما أخبر الله عنهم بقوله: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اتَّكَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَلْبِنَ أَسْتَجِيعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَسْتَكْبِرُونَ أَمْ نَرَاكَ كَارِهُمًا مِنْ دُونِ رَبِّهِ قَالَ إِيَّاكُمْ يَهْتَكِرُونَ) (٣٧) قَالَ الَّذِينَ اتَّكَفَرُوا إِيَّاكَ بِالَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ كَذِبًا (الأعراف/ ٧٥: ٧٦).

وقال قوم نبينا: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْبَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) (سبا/ ٣٥).

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَتَّعْنَا بِمَتْنِهِمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ مَرْءًا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ بَيِّنَاتٍ) (الأنعام/ ٥٣)، وقال يحكي حال الكفار: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَّحُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) (الأحقاف/ ١١).

كما نسوا قول الله تعالى:

(وَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (الرعد / ٢٦)، وقوله: (وَأَسِيرَ تَسْلُكًا مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف / ٢٨)، وقوله: (وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ مَثَلًا رَّحُلَيْنِ جَمَلًا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْيُنِنَا وَحَفَفْنَاهُمْ يَنْحُلِي وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبَدًا) (الآيات من سورة الكهف ٣٢)، وقوله: (لَا تَدْنَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) (الحجر / ٨٨)، وقوله: (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) إلى قوله: (وَأَن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَعِينِينَ) (الزخرف / ٣٥).

وقد كان قيصر ملك الروم وهو كافر أهدى منهم؛ فإنه حين بلغه كتاب النبي سأل عنه أبا سفيان، فقال أبو سفيان: (يتبعه ضعفاء الناس أو أقوياءهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم)؛ فكان هذا مما استدل به على أنه رسول الله، وقال: (إنهم أتباع الرسل في كل عصر وزمان).. وفي الأثر أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه فقال

له: (يا موسى، لا يغرركما -موسى وهارون عليهما السلام- زينة فرعون ولا ما مُتَّعَ بِهِ، فإنني لو شئت أن أزينكما بزينة يعلم فرعون أن مقدرته تعجز عن أقل ما أوتيتما لضعلت، ولكنني أضنُّ بكما عن ذلك وأزوييه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي وقديماً خُزْتُ لهم أني لأذودهم عن الدنيا كما يذود الراعي الشفيق إبله وضمه عن مراتع الهلكة، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من الآخرة سائماً موفراً لم تكلمه الدنيا ولم يُطغِه الهوى).

وقد روي عن عمر أنه دخل على النبي بمشربة له فرفع رأسه في البيت، فلم ير فيه إلا أهبة، والنبي متكئ على رمال حصير وما بينه وبينه شيء، قد أشر في جنبه، فقلت: يا رسول الله؛ وأنت على هذه الحال، وفارس والروم وهم لا يعبدون الله لهم الدنيا، فجلس عليه السلام محمراً وجهه؛ ثم قال: (أبي شك أنت يا ابن الخطاب؟؛ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة). وراح ابن قدامة يختم

كلامه بما أنشده علي بن أبي بكر الطرازي بحق الأشاعرة، قائلاً:

دعوني من حديث بني اللثيا  
ومن قوم بضاعتهم كلام  
تضاريق العصا من كل أوب  
إذا ذكروا وليس لهم إمام  
إذا سئلوا عن الجبار مالوا  
إلى التعطيل واقتضخ اللثام  
وإن سئلوا عن القرآن قالوا  
يقول بخلقه بشر كرام  
كلام الله ليس له حروف  
ولا في قوله ألف ولا م  
فهذا دينهم فاعلم يقيناً  
وليس على مهجنهم ملام  
لهم زجل وتوحيد جديد  
أبي الإسلام ذلك والأنام  
وزمزمة وهينمة وطيش  
كانهم دجاج أو حمام  
وأزراء بأهل الحق ظلماً  
وتلقيب وتشنيع مُدام  
فصبراً يا بني الأحرار صبراً  
فإن الظلم ليس له دوام  
وأن الحق أبلج لا يضام  
وقول الزور آخره غرام  
ثبتنا الله على الإسلام  
والسنة، وجنبنا الكفر  
والبدعة، وحبب إلينا  
الإيمان وزينه في قلوبنا،  
وكره إلينا الكفر والفسوق  
والعصيان، وجعلنا من  
الراشدين فضلاً منه  
ونعمة. اهـ بتصرف.  
والى لقاء، والحمد لله رب  
العالمين

# نظرات في

## حكم طلاق

### الغضبان

(١)

د/ محمد عبد العزيز

بين طلاب العلم والمتفقهين سطرت هذا المقال؛ لعله يضيء طريقاً لسالك، أو يعبد طريق النظر لتفقه، أو يفتح باباً لتصدر للفتوى.

ومبنى النظر في هذه المسألة على حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طلاق، ولا عتاق في إغلاق». رواه أحمد (٢٦٣٦٠)، وأبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، وعند أبي داود لفضله: «في غلاق»، بدلاً من: «في إغلاق».

فوجب تدقيق النظر في أمرين:

الأول: ثبوت الحديث.

الثاني: تفسير معنى الإغلاق فيه.

وهذا هو موضوع هذا المقال:

#### أولاً: النظر في ثبوت الحديث:

مدار الحديث عند من خرجه من أصحاب الكتب السبعة- أعني: الستة ومسند أحمد- على: محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد الكلاعي عن

«الْمَسَدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَجْرَةِ وَهُوَ الْكَافِرُ الْكَافِرُ» (سبأ: ١)، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وبعد:

فلمن من نافلة القول أن فرقة الطلاق هي إحدى الفرق الهادمة لعقد النكاح، وفرق النكاح ثلاثة أجناس في الجملة:

الأولى: هي أعظم الفرق، وهي فرقة الموت، وفرقة الموت ينتهي النكاح بها، ويقال: انتهى النكاح، ولا يقال: بطل النكاح.

الثانية: فرق الطلاق. الثالثة: فرق الفسخ.

وقد سبق هذا في مقالات نظرات في أحكام الطلاق، وهي ثمانية مقالات، وسبق فيها بيان حكم مشروعية الطلاق، وأنه آخر العلاج إذا استحالت العشرة الزوجية، وأنه من محاسن الإسلام، فلا تطيل بإعادة القول فيها مرة ثانية، والغرض من هذا المقال: بيان حكم طلاق الغضبان في الشريعة، فهذه المسألة من المسائل التي كثر الخوض فيها بين عموم المتفقهين والمفتين، وكثر التعذر بها من عموم المطلقين الذين يبحثون عن مخرج شرعي يزيلون به أثر ما تلفظوا به من الفاظ توجب فرقة الطلاق. فلما وجدت هذه اللجة محتدمة

محمد بن عبيد بن أبي صالح عن صفية بنت شيبه بن عثمان صاحب الكعبة عن عائشة، رضي الله عنها.

ووقع في مطبوع سنن ابن ماجه: عن عبيد بن أبي صالح، بدلاً من: محمد بن عبيد بن أبي صالح.

وقد نبه على هذا المزي في تحفة الأشراف، قال (١٢/٣٩٦/١٧٨٥٣): «كذا وقع في هذه الرواية».

وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (٩/٣٣٠): «أخرجه ابن ماجه من طريقه فسماه: عبيد بن أبي صالح، وهو وهم».

وأخرج الحديث أيضاً ابن أبي شيبه (٣٨/١٨٠)، وأبو يعلى (٤٤٢٧).

وفيه اختلاف أيضاً في سنن ابن أبي شيبه (٣٨/١٨٠)، فقد سمى: عبيد بن أبي صالح عبد الله بن أبي صالح.

وهنا اختلاف ثالث فقد أخرجه أبو يعلى الموصلي- طبعة دار القبلة، وطبعة دار الكتب العلمية- (٤٤٢٧)، عن أبي بكر بن أبي شيبه حدثنا ابن نمير، عن ابن إسحاق، عن ثور، عن عبيدة بن سفيان.

لكنه وقع في طبعة دار المأمون بتحقيق: حسين سليم أسد (٤٥٧٠): وفيه خطأ:

الأول: ثور بن زيد، بدلاً من: ثور بن يزيد.

الثاني: «محمد بن عبيد بن أبي صالح»، بدلاً من: «عبيدة بن سفيان»، مع أنه نبه أنه في مخطوطي الكتاب: عبيدة بن سفيان.

وفي تهذيب الكمال، قال الحافظ المزي (١٩/٢١٥/٣٧٢٣): «وقال أبو يعلى الموصلي، عن أبي بكر بن أبي شيبه: عبيد بن سفيان، بدل عبيد بن أبي صالح».

فتحصل في طريق أبي بكر بن أبي شيبه عن عبد الله بن نمير، عن محمد بن إسحاق، عن ثور، ثلاثة أوهام في اسم: محمد بن عبيد بن أبي صالح:

الأول: عبد الله بن أبي صالح عند أبي بكر بن أبي شيبه.

الثاني: عبيد بن أبي صالح عند ابن ماجه.

الثالث: عبيدة بن سفيان عند أبي يعلى.

ومحمد بن عبيد بن أبي صالح: ضعيف، وهو علة هذا الحديث.

قال عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الوسطى (٣/٢٠٠): «في إسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح وهو ضعيف». وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٨/١٠): هو ضعيف الحديث.

وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٧/٣٧١/١٠٤٨٩).

- وقد تابع محمد بن إسحاق أبو صفوان عبد الله بن سعيد الأموي، وأسقط من الإسناد: محمد بن عبيد بن أبي صالح.

أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٢٨٠٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد تابع أبو صفوان الأموي محمد بن إسحاق على روايته، عن ثور بن يزيد فأسقط من الإسناد محمد بن عبيد.

وقال الذهبي في تلخيص المستدرک (٢/٦٦٩): وفيه نعيم بن حماد، وهو: صاحب منكير.

وقد تابع محمد بن عبيد بن أبي صالح في روايته عن صفية بنت شيبه بن عثمان كل من:

١- زكريا بن إسحاق.

٢- محمد بن عثمان.

أخرجه البيهقي (١٥٠٩٨) قال الحافظ في التمييز عن هذا الطريق (٥/٢٤٤٦): «ورواه البيهقي من طريق ليس هو فيها، لكن لم يذكر عائشة».

وهو وهم: ففيه ذكر عائشة- رضي الله عنها.

وقد ضعف الحديث عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الوسطى، قال (٣/٢٠٠): «في إسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح وهو ضعيف».

### الحكم على الحديث

قال ابن بطال في شرح البخاري قال (٦/١٣٦): «وأما الحديث: (لا طلاق في إغلاق) فليس بثابت».

وقال العيني في عمدة القاري (٢٣/١٩٧): «وأما حديث: (لا طلاق في إغلاق) فليس بثابت».



وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (٣٧٧/١): «وهذا يدل على أن الحديث المروي عنها مرفوعاً؛ (لا طلاق ولا عتاق في إغلاق) إما أنه غير صحيح...»

وقد صحح الحديث الحاكم في المستدرک على شرط مسلم، وحسنه الألباني في الإرواء (٢٠٤٧/١١٣/٧)، وقال في صحيح سنن أبي داود (١٩٠٣/٣٩٦/٦):

«قلت: حديث حسن، وصححه الحاكم، والذهبي، ولفظه عنده وآخرين: «إغلاق» وهو المحفوظ كما قال الخطابي».

### ثانياً: تفسير معنى الإغلاق في الحديث:

اختلف أهل العلم في تفسير الإغلاق في الحديث على قولين:

الأول: أن الإغلاق: الإكراه.

قال أبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث (١٣٨٣/٤): معنى الإغلاق، الإكراه لأنه يغلّق عليه الباب، ويحبس ويضيق عليه حتى يطلق.

وقيل: معناه: لا تغلق التطبيقات في دفعة واحدة حتى لا تبقى منها شيء، لكن يطلق طلاق السنة ألا ترى أن الكتب السلطانية في استنطاق جميع الأموال تنطق بإغلاقها.

وتفسير الإغلاق بالإكراه تفسير الجمهور كابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٧٩/٣)، والزمخشري في الفائق (٧٢/٣)، وابن الجوزي في غريب الحديث (١٦١/٢)، والمطرزي في المغرب (ص ٣٤٣)، والزبيدي في تاج العروس (٢٦٢/٢٦)، وغيرهم.

الثاني: أن الإغلاق: الغضب.

قال أبو داود في سننه (٢١٩٣/٥١٦/٣): الإغلاق أظنه في الغضب.

وقد نقل تفسير الإغلاق بالغضب عن أحمد، قال ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد (١٩٥/٥): «يعني: الغضب، هذا نص أحمد حكاة عنه الخلال، وأبو بكر في الشافعي، وزاد المسافر، فهذا تفسير أحمد».

قلت- كاتب المقال -: ولا يخفى أن تفسير الإغلاق بالغضب تفسير باللازم، وهو أيضاً تفسير للإغلاق ببعض حالات الغضب، والا فأكثر الغضب لا إغلاق فيه.

وقال ابن القيم في الصواعق المرسلّة (٥٦٣/٢): «فإنهم فسروا الإغلاق:

- بالإكراه، قلت: هذا تفسير كثير من الحجازيين-

- ومنهم من فسره بالغضب، وهو تفسير العراقيين-

ونص عليه: أحمد، وأبو عبيد، وأبو داود.

- ومنهم من فسره بجمع الثلاث في كلمة واحدة فإنه مأخوذ من غلق الباب أي أغلق عليه باب الطلاق جملة، وصح بعضهم هذا التفسير وجعله أولى التفسير.

كان ابن القيم نقل تفسير الإغلاق بالغضب عن العراقيين من مطالع الأنوار على صحاح الآثار، فقد قال ابن قرقول (١٥٠/٥): «وقيل: الإغلاق هنا الغضب، وإليه ذهب أهل العراق».

قلت- كاتب المقال -: وفي هذا التفسير نظر فأهل العراق إذا أطلقت أريد بهم أحد أقوال ثلاثة:

الأول: إن أطلق ذلك الحنفية، فإنهم يريدون به أهل المذهب من العراقيين- ورأسهم أبو الحسن الكرخي- في مقابلة أهل بخارى من الحنفية، وليس هذا قول العراقيين من الحنفية.

الثاني: إن أطلق ذلك الشافعية، فإنهم يريدون به أهل المذهب من العراقيين- وأشهرهم أبو حامد الإسفراييني، والقاضي أبو الطيب الطبري، وأبو الحسن الماوردي- في مقابلة أهل المذهب من الخراسانيين أو المروزة، وليس هذا قول العراقيين من الشافعية.

الثالث: إذا أطلقه أهل المذاهب عند الخلاف المطلق أرادوا به أصحاب الرأي، وهم الحنفية، وليس هذا قول الحنفية كما هو معلوم.

فينظر ماذا أراد ابن القيم من قوله: وهو تفسير العراقيين، فإنه لا ينطبق على قول فريق من هذه الفرق الثلاث.

### من فوائد الحديث:

١- إن الطلاق والعتاق له بحسب حكمه نوعان:

الأول: طلاق واقع وهو ما ترتبت عليه آثاره، وهو ما اكتملت أركانه، وتحققت شروطه، وانتفت موانعه.

الثاني: طلاق غير واقع وهو ما لم تكتمل أركانه، أو لم تتحقق شروطه، أو تحقق وجود مانع فيه.

٢- من موانع وقوع الطلاق الصادر من الأهل على المحل الصالح وجود الإغلاق.

٣- من موانع سرية العتق الصادر من الأهل على المحل الصالح وجود الإغلاق.

٤- فسر الجمهور الإغلاق بالإكراه، فأوأ طلاق المكره غير واقع، وهو قول عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وبه قال شريح، وجابر بن زيد، والحسن، وعطاء، وطاؤوس، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، وأيوب، وابن عون، وهو قول مالك، والأوزاعي، والحسن بن حي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي سليمان وأصحابهم. (ينظر: معالم السنن، للخطابي (٢٤٢/٣)، والاستذكار، لابن عبد البر (٢٠٢/٦)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥٠/٢٠).

وذهب النخعي، وسعيد بن المسيب، والزهري، وأبو قلابة، وشريح، وأصحاب الرأي، إلى أن طلاق المكره جائز، وقال إبراهيم النخعي: لو وضع السيف على مفرقه ثم طلق لأجزت طلاقه.

وقد روي عن الشعبي إن أكرهه للصوص لم يجز طلاقه وإن أكرهه السلطان جاز. (ينظر: الاستذكار، لابن عبد البر (٢٠٢/٦)، وعمدة القاري، للعيني (٢٥٠/٢٠).

٥- فسر أصحاب الرأي الإغلاق في الحديث بالجنون: لأن المكره غير معلق عليه، وإنما المعنى فيه: المجنون؛ لأنه معلق عليه في التصرف من سائر الوجوه.

وهو مأخوذ من: أغلق عليه بابيه، ومنع من التصرف من سائر الوجوه، وهذا هو صفة المجنون. (التجريد، للقدوري (٤٩٢٥/١٠)، وشرح مختصر الطحاوي، للجصاص (٨/٥).

٦- حمل بعض أهل العلم النفي في الحديث على معنى النهي، فيكون المعنى: لا تطلق المرأة ولا تعتق العبد حال الغلاق أو الإغلاق على اختلافهم في

تفسيره.

قال القدوري في التجريد، للقدوري (٤٩٢٥/١٠): (لا طلاق ولا عتاق في غلاق): أي: لا يطلق الرجل المحب للمرأة ولا يعتق المولى المحب: لأن نفسه تتبعها ولا يقدر عليها، وهذا معنى قوله: لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً (الطلاق: ١).

فإن صح اللفظ الآخر وهو لا طلاق في إغلاق فهو من هذا أيضاً؛ لأنه يريد أن غيره أدخله في هذا، فتقول: أغلقه غيره إغلاقاً فهو معلق، والعرب تجعل العاشق مرة فاعلاً ومرة مفعولاً. (وينظر: شرح مختصر الطحاوي، للجصاص (٨/٥).

وقيل في معناه: لا تغلق التطبيقات في دفعة واحدة حتى لا تبقى منها شيء، لكن يطلق طلاق السنة، ألا ترى أن الكتب السلطانية في استنطاق جميع الأموال تنطق بإغلاقها. (الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي (١٣٨٣/٤).

٧- من أهل العلم من فسر الإغلاق بالغضب فجعل الغضب مانعاً من إيقاع الطلاق، وقد روي ذلك عن مسروق، والشعبي، وجماعة أن الغضبان لا يلزمه يمين ولا طلاق ولا عتق. (ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٣٧/٦).

٨- استدل بعض أهل العلم بالحديث على أن الغضب إن وصل بصاحبه إلى حد الإغلاق فيزيل العقل بالكلية فلا يدري ما يقول أنه لا يقع من صاحبه طلاق. (زاد المعاد في هدي خير العباد (١٩٥/٥، ١٩٦)، وأغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (ص ٣٨، ٣٩).

٩- استدل بعض أهل العلم بالحديث على أن الغضب إن وصل بصاحبه إلى حد يحول بينه وبين نيته وقصده بحيث يندم على ما فرط منه، وإن لم يزل العقل بالكلية أنه لا يقع، واليه يميل ابن القيم، واختاره ابن عابدين. (ينظر: زاد المعاد (١٩٥/٥)، وأعلام الموقعين (٤٠/٤)، وأغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان (من ص ٢٨ إلى آخر الرسالة)، ورد المحتار على الدر المختار (٢٤٤/٣).

هذا ما يسره الله في هذا المقال، فإن يكن صواباً فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فاستغفر الله، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

# صلاة الاستسقاء

## الحلقة الأولى

الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكّم أنمتهم بكتاب الله، ويتخيروا فيما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم". (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

وهذا الحديث فيه: أن نقص المكيال والميزان سبب للجذب وشدة المؤونة وجور السلاطين، وفيه أن منع الزكاة من الأسباب الموجبة لمنع نزول المطر من السماء، وأن نزول الغيث مع وجود المعاصي إنما هو رحمة من الله تعالى للبهائم. (انظر:

عدد ٥٠٠ - د. حمدي طه

أَسْتَسْقَى مُرْسِنَ لِقَرِيمٍ، فَتُنَّا أَخْرِبَ  
بِعَمَّاكَ الْحَبْرَ فَأَنْفَجَرْتَ مِنْهُ أَنْتَنَا  
عَشْرَةَ عَيْنًا، (سورة البقرة: ٦٠).

ثانياً: سبب الاستسقاء:

سبب الاستسقاء: القحط وانحباس المطر وشح المياه، والشعور بالحاجة لسقي الزرع وشرب الحيوان.

ومن أسباب القحط وحبس المطر: معصية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم

الرحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبدأ في هذا اللقاء الحديث عن آداب وأحكام صلاة الاستسقاء، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: معنى الاستسقاء:

الاستسقاء في اللغة: هو طلب الشخص سقي الماء لنفسه أو طلبه لغيره، وهو استفعال من طلب السقيا؛ أي إنزال الغيث على البلاد والعباد، يقال: استسقى، وسقى الله عباده الغيث، وأسقاهم. والاسم: السقيا بالضم، واستسقيت فلاناً؛ إذا طلبت منه أن يسقيك" (انظر لسان العرب لابن منظور ٣٩٣/١٤).

وشرعاً: طلب السقي من الله تعالى بمطر عند حاجة العباد إليه على صفة مخصوصة، وقد ورد ذكر الاستسقاء في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: «وَإِذْ

نيل الأوطار للشوكاني ٣٥/٧  
بتصرف).

ويحدث الجفاف عادة ابتلاء من الله تعالى؛ بسبب غفلة الناس عن ربهم، وتضيي المعاصي بينهم. فنزول الماء رحمة، وانحباسه كثيراً عذاب يعذب الله به عبداً خرجوا عن طاعته، أو عصوا ولم يتقوا الله سبحانه، فيحتاج الأمر للتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله. قال تعالى: «وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأُنْقِضَنَّ بِئِنَّ عَذَابًا» (سورة الجن: ١٦). وقد بين الله - عز وجل - أن الابتعاد عن المعاصي والقيام بالواجبات من أعظم أسباب إنزال البركات، فقال عز وجل: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ لَمَتَّقُوا لِآيَاتِنَا لَمَتَّقْنَا لَعَنَّا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِي مِن السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (سورة الأعراف: ٩٦).

#### ثالثاً: حكم الاستسقاء:

الاستسقاء سنة مؤكدة إذا أجدبت الأرض وقحط المطر. قال الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - «وأجمع العلماء على أن الخروج إلى الاستسقاء، والبروز، والاجتماع خارج المصرب بالدعاء، والضراعة إلى الله - تبارك اسمه - في نزول الغيث عند احتباس ماء السماء وتمادي القحط؛ سنة مسنونة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك». (التمهيد ٣٥/٧).

واختلصوا في الصلاة في الاستسقاء؛ فقال أبو حنيفة: ليس في الاستسقاء صلاة، ولكن يخرج الإمام ويدعو، وروي عن طائفة من التابعين مثل ذلك، وحجتهم حديث مالك، وقال مالك والشافعي وأبو يوسف

ومحمد وسائر فقهاء الأمصار؛ صلاة الاستسقاء سنة. (انظر: التمهيد لابن عبد البر ٣٥/٧). قال أبو حنيفة: «ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة في جماعة؛ فإن صلى الناس وحدانا جاز، وإنما الاستسقاء الدعاء والاستغفار؛ لقوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» الآية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ولم تزو عنه الصلاة» (انظر: العناية شرح الهداية للبابرتي ٩١/٢).

ورد على ذلك الحافظ الزيلعي من أئمة الحنفية فقال: «أما استسقاؤه عليه السلام، فصحيح ثابت، وأما إنه لم يرو عنه الصلاة، فهذا غير صحيح، بل صح أنه صلى فيه، كما سيأتي، وليس في الحديث أنه استسقى، ولم يصل، بل غاية ما يوجد ذكر الاستسقاء، دون ذكر الصلاة، ولا يلزم من عدم ذكر الشيء عدم وقوعه». (نصب الراية: ٢٣٨/٢).

وقال جمهور الفقهاء منهم الصحابيان: صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة حضراً وسفراً، عند الحاجة، ثابتة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه، رضي الله عنهم. وكررت الصلاة في أيام لا يوم إن تأخر السقي بأن لم يحصل أو حصل دون ما فيه الكفاية؛ حتى يسقيهم الله تعالى، فإن الله يحب الملحين في الدعاء. (انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥٣٨/١، تحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي ٧٠/٤، المغني لابن قدامة ٢٨٣/٢، كشاف القناع للبهوتي ٩٥/٣).

والأصل في مشروعيتها أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد صلاها، وصلّاها معه صحابته - رضوان الله عليهم -؛ فعن عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى المصلى، فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه، وصلى ركعتين» (رواد البخاري ومسلم).

#### رابعاً: صور الاستسقاء:

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه الممتع «زاد المعاد في هدي خير العباد» فصلاً في هديه صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء، وأنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه استسقى على وجوه تذكرها مع تصرف في العرض:

أحدها: يوم الجمعة على المنبر في أثناء خطبته وقال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»؛ لحديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يبعثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، ما نرى في السماء من سحب ولا قرعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت،

ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله بمسكنا عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم حولنا ولا علينا. اللهم على الأكام، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر فانقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس (رواه البخاري ومسلم). وفي رواية للبخاري: "اللهم اسقنا اللهم اسقنا".

الوجه الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم وعد الناس يوما يخرجون فيه إلى المصلى، فخرج لما طلعت الشمس متواضعا متبدلا متخشعا مترسلا متضرعا فلما وافى المصلى صعد المنبر -إن صح والا ففي القلب منه شيء-: فحمد الله وأثنى عليه، وكبره، ودعا: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "شكا الناس إلى رسول الله قحوظ المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، فخرج رسول الله حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل، ثم قال: إنكم شكوتم جذب دياركم، واستنخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه أن تدعوه، ووعدهم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله، يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء،

أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين. ثم رفع يديه، فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حوّل إلى الناس ظهره، وقلب -أو حوّل- رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله عز وجل سحابة، فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سألت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذ، فقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله" (رواه أبو داود وحسنه الألباني). الوجه الثالث: أنه صلى الله عليه وسلم استسقى على منبر المدينة استسقاء مجرداً في غير يوم جمعة ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الاستسقاء صلاة؛ فعن ابن عباس قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع، ولا يخطر لهم فحل، فصعد المنبر صلى الله عليه وآله وسلم اسقنا غيثاً مغياً مريئاً ربيعاً طبقاً غداً عاجلاً غير راث، ثم نزل، فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا: قد أحيينا" (رواه ابن ماجه وضعفه الألباني).

الوجه الرابع: أنه استسقى وهو جالس في المسجد، فرفع يديه ودعا الله عز وجل، عن شرحبيل بن السمط أنه قال لكعب يا كعب بن مرة حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر: قال جاء رجل إلى النبي فقال:

يا رسول الله استسق الله: فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اسقنا غيثاً مريئاً مريعاً طبقاً عاجلاً غير راث نافعاً غير ضار، قال: فما جمعوا حتى أجيئوا. قال: فاتوه فشكوا إليه المطر، فقالوا: يا رسول الله تهدمت البيوت، فقال: اللهم حولنا ولا علينا، قال: فجعل السحاب ينقطع يمينا وشمالاً" (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

الوجه الخامس: أنه استسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء، وهي خارج باب المسجد الذي يدعى اليوم باب السلام، نحو قذفة حجر، ينعطف عن يمين الخارج من المسجد، فعن عمير مولى بني أبي اللحم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء قائما يدعو يستسقي رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه. (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

الوجه السادس: أنه صلى الله عليه وسلم استسقى في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء، فأصاب المسلمين العطش، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعض المنافقين: لو كان نبيا لاستسقى لقومه، كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "أوقد قالوها؟ عسى ربكم أن يسقيكم، ثم بسط يديه، ودعا، فما رد يديه من دعائه، حتى أظلم السحاب، وأمطروا، فأفعم السيل الوادي، فشرب الناس، فارتووا". والحمد لله رب العالمين.

# مقالات في معاني

## القراءات

### الحلقة السادسة

جاهد في سبيله قتل أو رجع  
سانماً (معاني القراءات للأزهري  
٤٧٤، الحجة للقراء السبعة  
لأبي علي الفارسي ٦ / ١٩٠،  
لطائف الإشارات ١٤٦/٨).

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا  
حَتَّىٰ تَمُوتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (محمد: ١٥).

القراءات: (أسن) قرأ ابن كثير  
بقصر الهمزة (أسن)، وغيره  
بمدها.

المعنى: (أسن) على وزن (فعل)  
كحذر للحال، ومعناه غير  
متغير في حال جريه، و(أسن)  
على وزن (فاعل) لما يُستقبل  
فلا يتغير على طول المكث  
(الكشف لمكي بن أبي طالب  
٣٧٨/٢).

قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ  
تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفِيدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْلُومًا  
أَرْصَانَكُمْ) (محمد: ٢٢).

القراءات: (عسيتم) قرأ نافع  
بكسر السين وغيره بفتحها  
وهما لغتان.

(توليتهم) قرأ رويس بضم  
التاء والواو وكسر اللام، وغيره  
بفتح التاء والواو واللام، ومعنى

### د. أسامة صابر

٤). أو المعنى لينذر به محمد  
صلى الله عليه وسلم فتتحد  
في المعنى مع القراءة الأولى  
(الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/  
٣٢٣).

### ومن سورة محمد

### (عليه الصلاة والسلام)

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ قَدْ يُعْطَىٰ أَمْوَالُهُمْ) (محمد: ٤).

القراءات: قرأ حفص وأبو  
عمرو ويعقوب (والذين قتلوا)  
وقرأ الباقر (والذين قاتلوا).

المعنى: أن من قتل في سبيل  
الله فلن يضيع عمله بل صلح  
حاله بالنعيم المقيم، وكذلك  
من قاتل الكفار وجاهدهم  
وان لم يُقتل سيهديهم طريق  
الخير في الدنيا ويحسن حالهم  
بالطاعة فيها، ويدخلهم  
الجنة في الآخرة مكرمين،  
فقراءة: (قاتلوا) أعم، وقد  
يقال: إن من قتل في سبيل الله  
فقد حصل منه القتال قبل أن  
يموت، فضمن الله ثواب كل من

الحمد لله، والصلاة والسلام  
على رسول الله وبعد: فما يزال  
الحديث متصلاً عن بعض  
معاني القراءات الواردة في سور  
الجزء السادس والعشرين من  
كتاب الله الكريم، فنقول وبالله  
تعالى التوفيق:

### الجزء السادس والعشرين

### من سورة الأحقاف

قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ  
مُصَدِّقٌ لِّمَا آتَىٰكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي  
النَّبِيِّينَ وَمَنْ يَنْزِيلُهُ لِلْحَسِينِينَ) (الأحقاف: ١٢).

القراءات: (لينذر) قرأ بتاء  
الخطاب نافع وأبو جعفر  
وابن عامر ويعقوب والبزي،  
والباقر بياء الغيبة.

المعنى: على قراءة (لتنذر):  
الخطاب للنبي عليه الصلاة  
والسلام، لأنه هو النذير  
لأمته، كما قال تعالى: (يَا  
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (البقرة: ١١٩)، وقراءة (لينذر)  
إخبار عن القرآن لأنه نذير،  
كما قال تعالى: (كُنْتُ مُبَشِّرًا  
مَنْتَنَّهُ فُؤَادًا عَرَبًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
نَذِيرًا وَنَذِيرًا) (فصلت: ٣).

(توليتهم) من الإعراض، أي: أعرضتم عن الإسلام أو الكتاب أو الجهاد. قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام. وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن؟ أو المعنى من الولاية، أي: توليتهم أمور الناس وحكمتهم فيهم، أو تولاكم الناس وولكلهم الله إليهم ويشهد لهذا المعنى قراءة رويس (توليتهم).

(وتقطعوا): قرأ يعقوب بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة (وتقطعوا) من القطع. كقوله تعالى (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْتَى) (الرعد: ٢٥)، وقرأ غيره بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة (وتقطعوا) من التقطيع على التكثير (تفسير القرطبي- سورة محمد: ٢٢، والبحر المحيط لأبي حيان ١١٥/٨).

قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلُ لَهُمْ) (محمد: ٢٥).

القراءات: (وأملى) قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء، وقرأ يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء، والباقون بفتح الهمزة واللام واللف بعدها.

المعنى: على قراءة الجمهور (وأملى لهم) أسند الفعل للشيطان أي غرهم وخدعهم وزين لهم ردتهم، ومناهم طول البقاء في الدنيا، ويجوز أن يكون الإملاء مسنداً إلى الله عز وجل، ويؤيد ذلك قراءة أبي عمرو (وأملى) جعله فعلاً ماضياً لما لم يسم فاعله، والفاعل في

المعنى هو الله جل ذكره كما قال: ( وَأَمَلِ لَهُمْ لَهْمٌ كَبِيرٌ مَبِينٌ ) (الأعراف: ١٨٣)، وقال: (إِنَّمَا نَمَلُ لَكُمْ يَزَادُوا إِنْ شَاءَ وَكَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (آل عمران: ١٧٨). وإملاء الله لهم: أنه أخرجهم في أعمارهم حتى اكتسبوا السيئات ولم يعاجلهم بالعقوبة ابتداءً، وقراءة يعقوب (وأملى لهم) تحتل أن يكون مضارعاً أسند إلى ضمير المتكلم أي: وأملى أنا لهم، ويجوز أن يكون ماضياً كقراءة أبي عمرو سكنت ياءه تخفيفاً (معاني القراءات للأزهري ٤٧٥، لطائف الإشارات ٨/ ١٥١).

#### ومن سورة الضحى

قوله تعالى: (عَلَيْهِمْ ذَلِيلَةُ النَّوَى) (الضحى: ٦).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بفتحها.

المعنى: (السوء) يراد به الهزيمة والشر والبلاء كقوله (وَالنَّوَى عَلَى الْكَافِرِينَ) (النحل: ٢٧) يعني العذاب: (وَالسُّوءُ): الرداءة والفساد وهو ظنهم الباطل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه لا يرجعون ولذا قال بعدها (وَكُنْتُمْ لَكُمُ النَّوَى) (الضحى: ١٢)، وقيل هما لغتان (الكشف ٨٤/٢، حجة لابن زنجلة ٣٥٠).

فائدة: قوله تعالى: (وَمَنْ أَرْوَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهٖ) (الفتح: ١٠) قرأ حفص بضم هاء الضمير وصلأ مع تضخيم لام اسم الجلالة، أتى به على الأصل بصلة الهاء بواو ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها فبقيت الضمة، وقرأ

الباقون بكسر الهاء لمجاورة الياء مع ترقيق لام اسم الجلالة، وهذا مثل موضع الكهف (وَمَا أَلْسِنَةُ إِلَّا الشُّنُطُنُ) (الكهف: ٦٣) (الكشف ٣٨٠/٢، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٢١٥).

قوله تعالى: (إِنَّ آيَةَ بِكُمْ ضُرًّا أَوْ آيَةً بِكُمْ نَعْمًا) (الفتح: ١١).

القراءات: (ضراً) قرأها حمزة والكسائي وخلف بضم الضاد، والباقون بفتحها.

المعنى: الضر ضد النفع، وهو الوارد في التنزيل مثل (مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا) (المائدة ٧٦)، (وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضُرًّا)

(وَلَا نَفْعًا) (الفرقان: ٣)، والضر:

هو السقم والبؤس والبلاء وسوء الحال، كما ورد في التنزيل (سَيِّئُ الْمَشْرِئِ) (الأنبياء: ٨٣)، (إِنَّ آيَاتِي لَأَنذَرُكُمْ اللَّهُ بِضُرٍّ) (الزمر: ٣٨)، وقيل: هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة ص: ٣٥١ ومعاني القراءات للأزهري ص ٤٧٨).

قوله تعالى: (مَنْ أَلْبَسَ كُفْرًا وَصَدَّقَكُمْ عَلَى التَّجْدِ الْحَرَامِ) (الفتح: ٢٥).

القراءات: قرأ أبو عمرو بالياء والمراد بهم الكافرون لتقدم ذكرهم وصددهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وقرأ الباقيون بتاء الخطاب، والخطاب للمؤمنين؛ لأنه خاطبهم بقوله (صَدِّقْكُمْ) (وأظفركم)، ويجوز أن يكون الخطاب للجميع من المؤمنين والكفار. (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٠٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# فضل السَّابِقِينَ للخيرات

الشيخ د. فيصل بن جميل غزاوي



خطيب المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد؛ فبأيها المسلمون؛ إن من فضل الله على عباده، أن جعل منهم سابقين في فعل الخيرات، مقدّمين في إحراز شرف السبق في القربات، أوائل في المحاسن والفضائل، وهم للناس قدوات، يصدق عليهم قول رب البريات: (وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) (الأنبياء: ٧٣)، فكانوا هداةً مهديين، ومن عباد الله المخلصين، نالوا -بسببهم- الرتبة العلية، والمكانة السنية، وهذا من أكبر نعم الله على عبده؛ أن يكون إماماً يهتدي به المهتدون، ويأتّم به المتقون، ويسلك طريقه السائرون، فمنهم من أشاد الله بسبقه، إذ قال جل في علاه: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَنْبَأَهُم بِالْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠)، فهؤلاء العظماء كانوا -بأوليئيتهم- مشاعل هدى لغيرهم، وقدوات خير لمن بعدهم.

”



عباد الله؛ ومما اعتنى به الصحابة الكرام ذكر أول من أسلم منهم. في روايات وردت عنهم؛ قال ابن كثير -رحمه الله-: "والصحيح أن علياً أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء. وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار"، وقال ابن حجر -رحمه الله-: "ومما اختصت به -يعني خديجة- رضي الله عنها- سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من أمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن؛ لما ثبت أنه من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيء)، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله -عز وجل-. فانظروا -رحمكم الله- لهذا الفضل الذي أحرزه هؤلاء السابقون؛ بأن كانوا أول من أسلم وجهه لله، واتبع دين الحق من هذه الأمة، فتألوا شرف السبق، وكانوا قدوة لغيرهم؛ بأن تتابع الناس بعدهم يلتحقون بركب المؤمنين الناجين، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد" (رواه ابن ماجه).

عباد الله؛ وممن يذكر في الأوائل ويشاد بسبقه في الفضائل: خليل الله إبراهيم -عليه السلام-. فقد أخرج ابن عساکر، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كان أول من ضيف الضيف إبراهيم". وقد أثنى الله -تعالى- عليه في كتابه العزيز، في إكرام ضيفه من الملائكة الكرام، فقال عز من قائل: (مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ النَّبِيِّينَ) (الذاريات: ٢٤)، إلى قوله -تعالى-: (لَرَأَى إِلَهُ الْعَالَمِينَ) (الذاريات: ٢٦). وهذا العمل الجليل منقبة عظيمة له؛ إذ كان أول من بدأ هذه الخصلة الحميدة من خصال الخير. وتتابع الناس بعده يضيفون الأضياف، ويكرمون النزول، حتى جاء الإسلام فرفع شأن هذا الأدب العظيم، وجعله شعبة من شعب الإيمان؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (متفق عليه)، وفي الصحيحين) عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أختن إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن ثمانين سنة بالقدم". وقد أجمع العلماء على أن إبراهيم -عليه السلام- أول من اختن، ثم تتابع الأنبياء على ملة إبراهيم -عليه السلام-.

ومنها فعل هذه الفطرة الإسلامية؛ بأن استمر الختان بعده في الرسل -عليهم السلام-، وأتباعهم. إخوة الإسلام؛ ومن أمثلة الأولوية في الخير ما جاء في الصحيحين أن عمر -رضي الله عنه- لما استأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- في أرض بخيبر أصابها، قال له -صلى الله عليه وسلم-: "إن شئت حسنت أصلها وتصدقت بها". قال ابن عمر -رضي الله عنهما- فيما أخرجه أحمد وغيره: "أول صدقة -أي موقوفة- كانت في الإسلام صدقة عمر"، وهذا الحديث الوارد في قصة عمر أصل في مشروعية الوقف، ثم تواتت أوقاف الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، فمن بعدهم يبتغون مرضاة الله، والتقرب إليه.

ومن أمثلة ذلك كذلك ما (أخرجه مسلم) في قصة إسلام أبي ذر الغفاري، إذ قال رضي الله عنه: "كنت أول من حيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتحية الإسلام، فقال: وعليك ورحمة الله". فحظي هذا الصحابي الكريم بهذا الفضل؛ أن كان أول من ألقى التحية على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي تحية الإسلام، تحية أهل الجنة، التي ينبغي أن نحرض على إفشائها، ولا نستبدل بها تحية أخرى. ولا نكتفي بغيرها عنها، فهي التحية الأولى، وأشرف التحيات وأكرمها، فلما قال عمير بن وهب -رضي الله عنه- في حوار مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يدخل في الإسلام، وهي تحية أهل الجاهلية قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قد أكرمنا الله -عز وجل- عن تحيتك، وجعل تحيتنا السلام، وهي تحية أهل الجنة، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قد بد لنا الله خيراً منها" (رواه الطبراني).

معاشر المسلمين؛ ومن الأوائل بلال بن رباح -رضي الله عنه- في أذانه، فعن القاسم بن عبد الرحمن -رحمه الله- أنه قال: "أول من أذن بلال"، فأكرم بهذا العمل الجليل، الذي هو شعار من شعار أهل الإسلام، ومن أفضل الضربات، وهو الدعوة إلى الله -عز وجل-، دعوة إلى أداء الصلاة، عمود الإسلام.

ومما يذكر في الأولوية حرص عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- على جمع السنة؛ بأن كتب بذلك إلى أبي بكر بن حزم وأمر ابن شهاب الزهري بذلك أيضاً، قال ابن حجر -رحمه الله-: "أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري، على رأس المئة، بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير،

قله الحمد...، فانظروا -رحمكم الله- كيف تتابع التدوين والتصنيف في السنة النبوية بعد ذلك، ومما يجدر ذكره هنا أن أول من صنف في الحديث الصحيح المجرد الإمام البخاري -رحمه الله-، ثم تبعه في هذا من تبعه.

ومن شواهد السبق في عمل الخير: ما جاء في قصة القوم الذين قدموا من مضر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما رأى ما بهم من الفاقة تمعر وجهه، فخطب في الصحابة وحثهم على الصدقة، فجاء رجل من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى اجتمع كومان من طعام وثياب، فتهلل وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" (رواه مسلم)، وفي الحديث حث على البداية بالخير؛ ليستأن به، وتحذير من البداية بالشر؛ خوف أن يستأن به.

عباد الله؛ وكما أن هناك أوائل في الخير، وأئمة في الهدى، فهناك أيضا من هم على الضد من ذلك؛ إذ بلغوا شأوا بعيدا في الضلالة، ومبلغا عظيما في الشر والغواية، ووصفوا بقبائح الأفعال والأحوال، وسلكوا طريق أهل الأهواء والأعمار، وكانوا في مقدمة ركب الغافلين الأشرار، بل وقدوة لأهل الفسق والزيف والصغار، ويصدق عليهم قول العلي القهار: **أَيُّكُمْ كَبُرَتْهُمُ إِلَى النَّاسِ** (القصص: ٤١)، فهم ضالون مضلون، ومن أمثلة ذلك -عباد الله- ما جاء في (الصحيح) عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحْيِ الْخَزَاعِيِّ يَجْرُ قَصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِغَ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَدَعَا إِلَى الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ يَجْرَ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ؛ عِقُوبَةً لَهُ، وَجَزَاءُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ، وَمَنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا جَاءَ عَنْهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَقْتُلْ نَفْسَ ظَلَمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ"، هَذَا جَزَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، فَكُلُّ مَنْ قَتَلَ بَعْدَهُ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقِّ نَالِهِ نَصِيبٌ مِنَ الْإِثْمِ.

ومما ذكر العلماء في مسائل الاعتقاد أن أول من قال بالقدر معبد الجهني؛ أي: هو أول من قال بنفي

القدر، وادعى أن الله -عز وجل- لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فكذب على الله وضل وافترى، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

أمة الإسلام؛ كم في الماضين من سلفنا الصالح، من الأوائل الأمجاد، الذين ضربوا أروع الأمثلة في التنافس على الخير، وكان لهم شرف السبق، وفضل الصدارة في العلم والعمل؛ فما أحوج الأمة اليوم إلى سابقين مبادرين في وجوه الخيرات، مُبدعين متقنين مستفيدين من وسائل العصر وامكاناته، يعرفون بأوليتهم وسابقتهم في الجِدِّ والمثابرة والاجتهاد، مستندين في ذلك كله إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، وما أجدر أن يكون في الناس أوائل يستنون للناس سنة حسنة فيتأسى بهم غيرهم فتسمو نفوسهم وترتقي هممهم، وما أجدر أن يكون فيهم أوائل في الرسوخ في العلم، لهم فيه نبوغ واتقان، وفهم واحسان، وحرص على تبليغه ونشره بين الأنام، ويكون فيهم أوائل في طلب معالي الأمور وأشرفها، ويكون فيهم أوائل في الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، والآداب الفاضلة، ومحاسن الأعمال، ويكون فيهم أوائل في الإصلاح بين الناس، ودعوتهم إلى المحبة والألفة واجتماع الكلمة، ويكون فيهم أوائل في الدعوة إلى الخير، وصنائع المعروف، وقضاء حوائج الناس، وتضريح كرياتهم، ويكون فيهم أوائل في الكرم والبذل، والوجود والإنفاق، والعطاء والسخاء، ويكون فيهم أوائل في استثمار سبل الدعوة، ونشر الدين الحنيف، ومحاسن الإسلام في العالمين، ويكون فيهم أوائل في توجيه وتربية النشء، وشغلهم بالنافع المقيد، وما أحوج الأمة كذلك إلى سابقات صالحات قانتات في الاعتزاز بالدين والمحافظة على أوامر رب العالمين.

إننا -عباد الله- بحاجة ماسة إلى أن نحدو حدو كل صاحب قدوة في مجاله، من أهل السبق والفضل والأولية، فنسلك سبيل العلماء الربانيين في علمهم، والطائعين العابدين في إخباراتهم لربهم، والتائبين المنيبين في توبيتهم، والذاكرين لله كثيرا في ذكرهم، والصابرين في صبرهم، والشاكرين في شكرهم، والصادقين في صدقهم، والتائبين على دينهم ومبادئهم في ثباتهم، والجادين والمتقنين أعمالهم، والمحافظين على أوقاتهم في جدتهم واجتهادهم، والبارين آباءهم في برهم، والواصلين رحمهم في وصلهم، وهكذا في كل مجال من مجالات اتباع سبيل المؤمنين.



# مفاجأة

## سعر الكرتون

### ٩٢٠ جنيه مصري بدلاً من ١١٧٠

### لأول ١٠٠ من المشترين

### هدايا قيمة



### صالح حديثاً مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهاً للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهاً بدلاً من ٤٠ جنيهاً

للحصول على الكرتون الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

## 01008618513

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد



[www.mgtawheed.com](http://www.mgtawheed.com)

